المبحث الأول: دوسوسير و الدرس النحوي

شكلت آراء دوسوسير وفرضياته منعرجا حاسما في الدراسات اللسانية الحديثة، حيث أرسى دعائم المنهج الوصفي الذي أعطى بعدا علميا في دراسة اللغة ومثل نظام العلامات، و القيمة اللغوية،و الآنية و الزمانية، والعلامة الخطية، مكونات أساسية للمنطلق البنيوي.

إن حقيقة الطرح النحوي السوسيري تقتضي منا تقصي الحقائق اللسانية التي وضعها سوسير وبرهن على دقتها العلمية، ثم ربط هذه القضايا بالأحكام النحوية التي تنطلق من عناصر اللغة ومكوناتها نحو أقسام الكلام،و الجملة، و القيمة و الدلالة والقياس... ثم بيان العلاقة التي تربط هذه الأحكام بالدلالة أو بعبارة أخرى علاقة النحو بالدلالة .

المطلب الأول : أقسام الكلام في الطرح السوسيري

لم تتضح أقسام الكلام عند سوسير وضوحها في الدراسات العربية و الغربية،لأنها لم تكن هدفه الذي يرمي إليه، و إنما الحديث عن مثل هذه المسألة صاغه دوسوسير انطلاقا من وظيفة المنهج الوصفي الذي وظف لتعيين الحدود والمعالم في سلسلة الكلام مع بيان العلاقات التي تربط الوحدات اللغوية المتآلفة.

يصل التقسيم إلى حدود التمييز و إظهار الوحدات اللغوية الملموسة التي ترتبط بالبنية والوظيفة ويرجع وجودها و انتماؤها إلى اللغة[1].

لا تدرك أقسام الكلم إلا في إطار التركيب الذي ينشئ علاقات فيما بين الوحدات التي لا تكتسب قيمتها إلا بمقابلتها مع ما يسبقها أو ما يليها أو هما معا[2].

يتجه سوسير نحو تغليب قيمة الوحدات المجردة في قوة علاقاتها على الوحدات الملموسة؛ فالأسماء و الصفات أكثر ترابطا و شمولية و تجريدا من الحالات الإعرابية[3]

---

1 - فرديند دو سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة: يوسف غازي، ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للنشر 1986 م، ص151 .

2 - المرجع نفسه، ص149 .

3 - المرجع نفسه، ص168 .

فهذه العلاقات التي تشكلت بين أقسام الكلام حملت جميع المعاني الموجودة والمحتملة، ومكمن قوتها ونجاحها هي اعتبارها منهجا تصنيفيا " تفرض نفسها وشخصيتها و هي الواقعة الوحيدة التي يمكن جعلها قاعدة للنظام القواعدي"[1].

تجمع طروحات دوسوسير قضيتين جوهريتين تعدان أساس نظريته وهما النظام والقيمة.

إذ يعمل النظام على ضبط وتيرة الوحدات اللغوية وتقسيمها و تصنيفها، ثم الوقوف على بيان دورها في تشكيل المعنى و إظهاره. و ترتبط القيمة بترتيب عناصر الوحدات[2] ذات الماهية المجردة التي تتساوى في وجودها وتقابلها مع وحدات محسوسة[3].ومن ثم فإن سوسير يؤكد على مبدأ التقسيم القائم على المعنى و الوظيفة اللتين لا تتحققان إلا بوجود صيغة مادية محددة[4].

و تجدد منهجه في أقسام الكلام التي لم يعزلها عن التراكيب، بل صنفها تصنيفا تركيبيا وظيفيا. و هو بذلك يرصد عمل الكلمة(الوحدات اللغوية) و أصنافها و موقعها من خلال التركيب و لا قيمة لها خارجه.

إنه المجال الذي تتميز فيه الصفة عن الاسم، و الضمائر عن الحروف وتبرز مكانة الفعل في توجيه و تحديد الأسماء المرتبطة به ففي الفرنسية الحديثة يعبر" عن مفهوم المفعول به المباشر بوضع الاسم بعد الفعل المتعدي (Je Cueille une Fleur) أقطف وردة"[5].

المطلب الثاني: التركيب والقيمة:

1 - محاضرات في الألسنية العامة، ص165 .
2 - المرجع نفسه، ص168 .
3 - المرجع نفسه، ص169 .
4 - المرجع نفسه، الموضع نفسه.
5 - المرجع نفسه، ص168 .

يشكل التركيب عند سوسير الأساس المادي لمفهوم التعاقبية إذ أنه يمثل ربطا بين عنصرين أو أكثر تجمعهماعلاقات صوتية وصرفية ونحوية.يقول في وصفه:"فالتركيب يتشكل دائما من وحدتين متعاقبتين أو أكثر"[1].

يعكس هذا المفهوم علاقة الإسناد بين الاسم و الفعل، أو بين الاسم و الاسم و قد يتوسع إلى عدد غير محدود من الوحدات.

و من المؤكد أن الخطية (Linéarité) سمة اتصلت مباشرة بالوصف التركيبي الذي يعكس قيمة الكلمة بالنظر إلى ما يحيط بها من عناصر سابقة لها أو لاحقة[2].

و تبرز القيمة بتظافر القرائن اللفظية و المعنوية. و بتشكيل علاقة تبادلية بين الكل و الأجزاء،يقول سوسير:" فقيمة الكل هي في أجزائه كما أن قيمة الأجزاء تأتى من مكانتها في هذا الكل أو ذاك، ولهذا فإن أهمية العلاقة التركيبية بين الجزء و الكل، كأهميتها بين الأجزاء فيما بينها"[3].

و يصل إلى نتيجة هامة: أن الجملة هي النمط الأفضل للتركيب، بيد أنها تنتمي إلى الكلام الذي يتصف بعدم خضوعه للنظام، إنه يتصف بالحرية الفردية[4].

المطلب الثالث: اللغة و الكلام.

لقد تردد سوسير كثيرا في تصنيف الجملة و ضمها إلى اللغة لا إلى الكلام وهذا يعود إلى الشك الذي انتابه مفاده: هل حرية الكلام تعطينا حرية التركيب؟و إذا كان الجواب بـــ(نعم)،فإننا نحصل على تراكيب خارجة عن قواعد اللغة، ولا نملك حرية التصرف فيها[5].

---

1 - محاضرات في الألسنية العامة، ص149 .
2 - المرجع نفسه، الموضع نفسه.
3 - المرجع نفسه، ص155 .
4 - تحيلنا هذه الفكرة إلى تصور النحاة العرب للجملة التي ساووها بالكلام. ينظر: الخصائص ج1، ص18 .
5 - محاضرات في الألسنية العامة، ص151 .

و مع ذلك فإننا لا نتهمه بإهماله الجملة بوصفها وحدة لغوية مثلما أكد جونا ثان كلر[1] و إنما الأمر يتعلق بتحديد المفهوم، إذ يمثل هذا الأمر لديه إشكالا يصعب حله.

يقول عن اللغة:" إنها تبدو كمجموعة من العلامات المحددة مسبقا، والتي تكفي دراسة دلالتها وأحكامها،إنها كتلة مبهمة"[2].

ويقف عند الجملة قائلا: إذا كانت" الوحدات الواجب تقسيمها هي الكلمات: إذا ما الجملة، إن لم تكن تنفيذا للكلمات "[3] ليس هناك حدود بين اللغة و الجملة إن الذي يجمع بينهما هو النظام. ومع ذلك فإن تفسير عمل النظام في اللغة يبقى غامضا مثلما ساد الغموض مجال الجملة، إذ لا ينحصر مفهومها–في تنفيذ أو ضم هذه الكلمات، وإنما يتجاوزها إلى سلسلة من العلاقات المنتظمة في قواعد اللغة.

إن الذي وقع فيه سوسير أنه لم يعرف" كيف يوائم بين حقيقة أننا نستطيع أن ننتج جملا جديدة كل الجدة، وحقيقة أن لغة ما تحتوي على أنماط من العبارة....كما أنه لم يدرك أنه من الممكن تشييد جملة محدودة من القواعد التي ستولد صورا من الوصف البنيوي لعدد غير محدود من الجمل"[4].

فمعرفة اللغة كاف لتمييز الجمل التي صيغت وفق قواعد اللغة. ثم إن مستعملي اللغة بإمكانهم إنتاج جمل جديدة موافقة لهذه القواعد وهذا ما سماه تشومسكي" الكفاءة اللغوية"**(Compétence)** و" الأداء الكلامي**(Performance)** .

المطلب الرابع:العلاقات الترابطية والعلاقات الاستبدالية.

إن أهم ما يميز عمل سوسير في اللغة، هو أنه نظر إليها على أنها شبكة من العلاقات المتداخلة والمتقاطعة في محورين هما: محور استبدالي (المحور العمودي)، ومحور ترابطي(المحور الأفقي) .

و كل ما يتعلق بالأحكام التركيبية من إعراب و ربط، واشتقاق، وصفة و غير ذلك يمكن إرجاعها إلى العلاقات الترابطية (التركيبية)، إذ تتحقق هذه العلاقة بالربط بين

---

1 - فرديناند دي سوسير(أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات) ، ترجمة، عزالدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية – القاهرة،2000م، ص150 .

2 - محاضرات في الألسنية العامة، ص126 .

3 - المرجع نفسه، ص128 .

4 - جوناثان كلر، فرديناند دي سوسير،ص150 .

وحدتين تمثلها العلاقة الإسنادية بين الفعل والفاعل، أو المبتدأ والخبر، وقد تتوسع هذه العلاقة إلى متممات أو فضلات، ويمكن للتركيب أن يتوسع ويتكون من عدد غير محدود من الوحدات اللغوية.

إن ما يميز الوحدات اللغوية في ترابطها سمة الخطية(Linéarité) التي تقوم بتفسير العلاقات التي تربط العنصر الوظيفي بسابقه و لاحقه. فالتركيب: الولد كبير- يطرح ازدواجية شكلية[1] تتمثل في:

- إن التركيب متكون من وحدتين:"الولد" و" كبير".
- ثنائية التذكير و التأنيث التي تعكس التطابق بين العنصرين السابقين فـــ" كبير" مذكر، " كبيرة" مؤنث.

أما العلاقات الاستبدالية فهي تقوم على سمات مشتركة، أو هي العلاقة بين الصيغة و الوحدة اللغوية، وما يربط بينهما من جهة المعنى.

و قد أعطى سوسير مثالا لهذه العلاقة وهي: علم(enseiger) وتعلم (Enseignement)[2] و تنتج هذه العلاقة نماذج مختلفة من الترابط المعنوي.

1. النموذج الأول، و تكون الكلمات المرتبطة فيه ذات جذر واحد نحو: تعليم، تعلم، معلم، عالم.
2. النموذج الثاني: و تشترك الكلمات فيه في اللواحق نحو:
   (Enseignement,armement,changement,...)
3. النموذج الثالث: و يقوم على التشابه بين المدلولات نحو: تعليم (Enseignement) وتثقيف (instruction) و اكتساب(Apprentissage) و تربية (éducation) [3] .

فالتراكيب التي تنتجها تآلف الوحدات و تعاقبها غير نهائية، فهي أشبه ما تكون بمركز الكون الذي يتلاقى فيه عدد لا نهائي من العلاقات المتقاطعة. و قد مثل لها سوسير بالمخطط الآتي[1]:

---

1 - محاضرات في الألسنية العامة، ص165 .
2 - المرجع نفسه، ص167 .
3 - المرجع نفسه، ص152 .

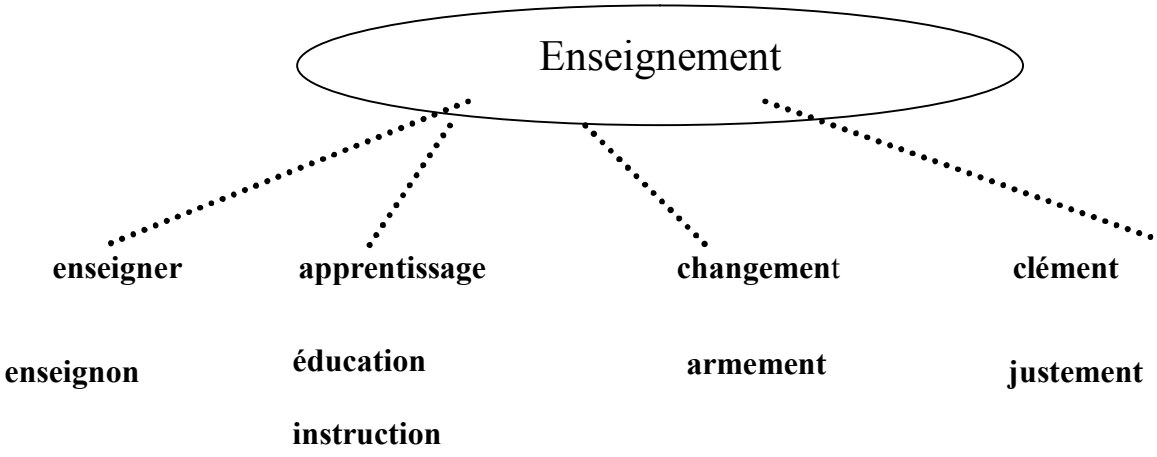

لقد جمعت الكلمة المركزية (Enseignement) بين نوعين من الاشتقاق، الأول يعتمد على الكلمة الجذر التي تساعد على توليد عدد كبير من الكلمات، والنوع الثاني يعتمد على إضافة اللاحقة(ment...) أو غيرها.

تتحكم آلية التثبيت والانتقاء في تشكيل التراكيب، والربط بين الوحدات اللغوية للتعبير عن الموقف الذي نريده، فالتقابل الثنائي موجود بين الصوت وأثره الدلالي، أو الصورة الذهنية[2]، وبين الصيغة والمعنى "فهناك إذا تشابه مزدوج بين المعنى و المبنى طورا وطورا آخر في الشكل أو في المعنى ليس غير."[3].

فالمتكلم إذا قال:" أنجزت خمس مقالات" فإنه قد اختار كلمة" أنجز" من مجموع الخيارات الممكنة مثل: كتبت و أعددت، ونحوهما و اختار التاء المضمومة (تاء الفاعل أو المتكلم) ، بدلا من الضمائر الدالة على جماعة المتكلمين(ن) أو تاء المخاطب، أو(تا) المخاطبين،أو ضمير المخاطبين(تم) أو ضمائر الغائب (هو،هي،...) .

و استبعد من التركيب،واحدا، واثنين، وثلاثة. ونحوها،واستبعد محاضرات، أو دروسا، أو رسائل...

---

1 - محاضرات في الألسنية العامة،ص152.
2 - المرجع نفسه، الموضع نفسه.
3 - المرجع نفسه، ص158 .

والملاحظ أن كل كلمة من الكلمات المختارة في علاقة استبدالية مع غيرها من الكلمات المستبعدة. فالتركيب متوقف على انتفاء المتكلم و خياراته مضافا إليها متطلبات الموقف التي تدفع بالمتكلم إلى التدقيق في الخيارات لتحقيق الهدف الإبلاغي.

و بالمقابل فإن علاقة المشابهة تتجسد في الكلمات التي تغير من المعنى نحو: قرأت بمقابل كتبت، وقد وصفت العلاقة هنا بعلاقة التغاير " وهي إحدى علاقتين تندرجان تحت علاقة الاستبدال، والعلاقة الأخرى هي علاقة التشابه"[1].

أما العلاقة الترابطية فإنها تقوم على الترادف و الإعراب والمطابقة و الرتبة و كثير من أحكام النحو التي تحكم التركيب في خطيته، فإذا قلنا مثلا:

- رأيت سبع نساء.
- رأيت سبعة رجال.

نلحظ أن كلمة(سبعة) وردت بالتاء مرة، ودونها مرة أخرى وهذا لتحقيق التطابق بين العدد والمعدود، ونجد أيضا أنها وردت منصوبة لموقعها بالنسبة للكلمة السابقة،إذ وردت مفعولا به، ولا يصح أن نعوضها بـــ(سبعٍ، أو سبعٌ) في حالة الرفع أو الجر.

وتطرح هنا فكرة القيمة بوصفها العلاقة المحورية التي تحكم نظرية سوسير وهي بالنسبة إليه المفهوم المركزي للدراسة اللغوية" سواء بالنسبة إلى جانبها الإجرائي وهو تعيين هوية الوحدات اللغوية أو جانبها النظري عند تحديد موضوع اللسانيات أو ما يسميه الحقيقة اللغوية"[2].

و البين هنا أن طرح سوسير في العلاقات الترابطية وحدوث الائتلاف بين الوحدات اللغوية داخل التركيب يقترب من طرح الجرجاني الذي يرى أن الفرق بين الجمل ليس في الحركات الإعرابية التي تلحق أواخر الكلم، ولا في الألفاظ من حيث هي ألفاظ مفردة، وإنما في تلاؤم معاني الألفاظ المتجاورة في التركيب وقد مثل لفكرته هاته بقوله:" ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك و تؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك، وتوحشك في موضع آخر كلفظة الأخدع في بيت الحماسة:

1- محمد محمد يونس علي، أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة، عالم الفكر، العدد الأول، المجلد 32 ، سبتمبر 2003 م، ص138 .

2 - عزالدين المجدوب، المنوال النحوي العربي، ص74 .

تَلفَّتُ نَحو الحَيِّ حتى وَجَدْتُنِي وَجِعْتُ من الإصْغَاءِ لِيْتًا وأَخدعا[1]

و بيت البحتري:

و إني وإن بلَّغْتَنِي شرَفَ الغِنى وأعْتَقْتَ من رقِّ المطامِعِ أخْدَعِي[2]

فإن لها في هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن ثم إنك تتأملها في بيت أبي تمام:

يادَهْرُ قوِّمْ من اخْدَعَيْكَ فقـــدْ أضْجَجْتَ هذا الأنَامَ مــن خُرُقِــكْ[3]

فتجد لها من الثقل على النفس، ومن التنغيص و التكدير أضعاف ما وجدت هناك من الروح و الخفة، والإيناس و البهجة"[4].

إن المعنى الذي يريده المتكلم محكوم بتقاطع العلاقتين الاستبدالية والترابطية (الائتلافية أو التركيبية)اللتان تخضعان لنظام العلامة اللغوية الذي يتحدد في ثنائية متلازمة هي:

1- الدال والمدلول.

2- الآنية والزمانية.

3- القيمة والنظام.

4- اللغة والكلام.

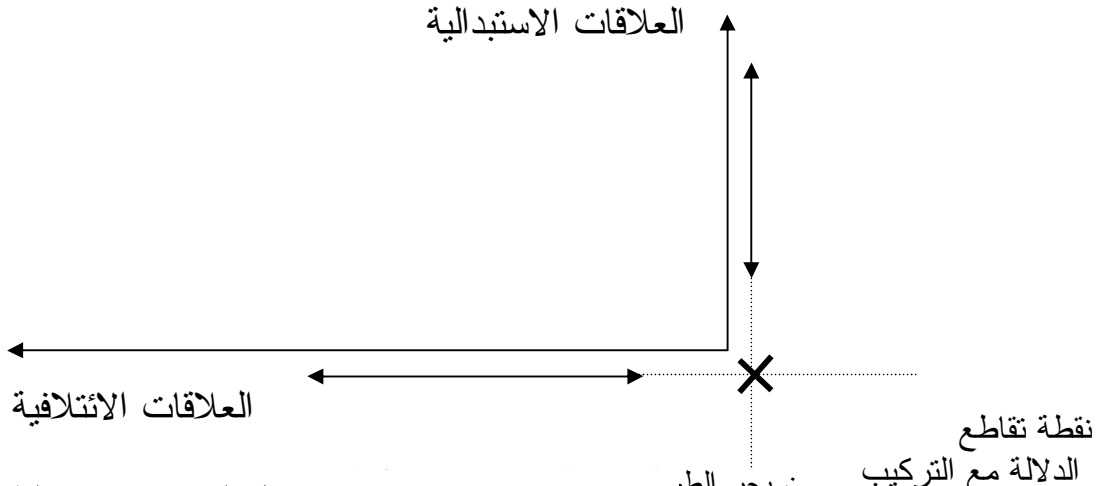

رسم بياني يوضح تفاعل العلاقات الاستبدالية و الترابطية .

ن بحر الطو
، ص54.

2 - البيت من الطويل .

3 - البيت من المنسرح.

4 - دلائل الإعجاز،ص54 .

إن الذي يهدف إليه سوسير هنا هو محاولة تصنيف قواعد اللغة و تنظيمها ضمن نظرية التراكيب ونظرية الترابطات،أي جعلها قاعدة للنظام القواعدي"[1].

المطلب الخامس: الدلالة عند دي سوسير.

بأي شكل تطرح الدلالة في نظرية سوسير؟ وما موقعها من دراساته؟ وما حقيقتها؟وما صلتها بالنظام،و الكلمة، والقيمة؟.

إن متفحص كتاب دي سوسير يجد أن عناصر النظرية السوسيرية تتمثل في الدلالة (الدال و المدلول) و النظام، والقيمة، هذه العناصر الثلاثة شكلت هرما لسانيا تحكمه علاقات تمايز و علاقات خلافية.

1- الدلالة حقيقة إيجابية:

لا تخلو أفكار سوسير من مبدأ الثنائية الذي طرحه هنا ليبين الخاصية الإيجابية للدلالة، حيث عبر عنها بمفهوم التمايز بمقابل الخلافية التي تقوم بوصفها علاقة بين العناصر السلبية. فالعلامة اللغوية (دال ومدلول) هي عنصر إيجابي، والعلاقة بين العلامات هي علاقة تمايز:" إن علامتين تشتمل كل منهما دالا ومدلولا ليستا مختلفتين، إنهما متمايزتان وحسب، ولا يوجد بينهما غير التقابل"[2].في حين وصف الصوتيميات بأنها كيانات تقابلية نفسية و سلبية"[3].

يمثل سوسير للدلالة بمجموعة من الأمثلة المنتقاة من اللغة و التي تقوم على صفة التقابل، نحو(Marchons)، فإن هذه الصيغة تطرح في الذهن مجموعة ترابطية مختلفة نحو: الفعل(Marche) و (Marchez) أو تقابلا مع صيغ أخرى يحددها الاختيار نحو: (Montons) و (Mangeons) .

فتغيير صيغة ما في التركيب يفرض جملة من التقابلات ضرورية لإظهار قيمة أخرى،

---

1 - محاضرات في الألسنية العامة،ص165 .
2 - محاضرات في الألسنية العامة، ص146 .
3 - المرجع نفسه، ص144.

فالفكرة لا تستدعي شكلا، بل منظومة كاملة نحصل بها على التقابلات الضرورية لتشكيل علامة"[1].

من المؤكد هنا أننا لسنا أحرارا في وضع التراكيب، بل مقيدون بجملة من القواعد التي تفرضها اللغة، وهي موجودة بالقوة في أذهاننا نستدعيها متى كانت رغبتنا في التعبير عن موقف ما..

فالدلالة التركيبية تتأثر بتغيير جزء صغير في الجملة، نحوتغيير ضمير المخاطبين في. (que vous dit il) إلى ضمير المخاطب.(que te dit-il?) (ماذ يقول لك؟) أو جماعة المتكلمين (que nous dit il?) (ماذ يقول لنا)[2].

إن تمثل المدلول و نقله إلى الواقع عن طريق الدال من أكبر المعضلات التي واجهت المعنى، فالدال حاضر والمدلول غائب،وهو "يعتمد على ذهن المتلقي لإحضاره إلى دنيا الإشارة.و هذه العلاقة لا تنشأ إلا بفعل المتلقي الذي يؤسس لهذه العلاقة و يقيمها بين الدال و المدلول وهي ما يسمى بالدلالة"[3].

والظاهر أن علاقة التلازم الحاصلة بين الدال والمدلول هي التي أفضت إلى إنتاج الدلالة وتوليدها.فالدال تتضح قيمته بالمدلول، والمدلول يبرز إلى الوجود بالدال. " ومن هنا صار الوجود اللفظي هو الأساس للحضور الذهني"[4].

2- الدلالة و النظام:

ننطلق في تحديد العلاقة بين الدلالة والنظام من الرسم الذي ساقه سوسير يبين فيه الدال والمدلول الذي يفسر العلاقة الدلالية داخل الكلمة ذاتها يقول دوسوسير:" فنحن ندعو النسق بين التصور و الصورة السمعية علامة"[5].

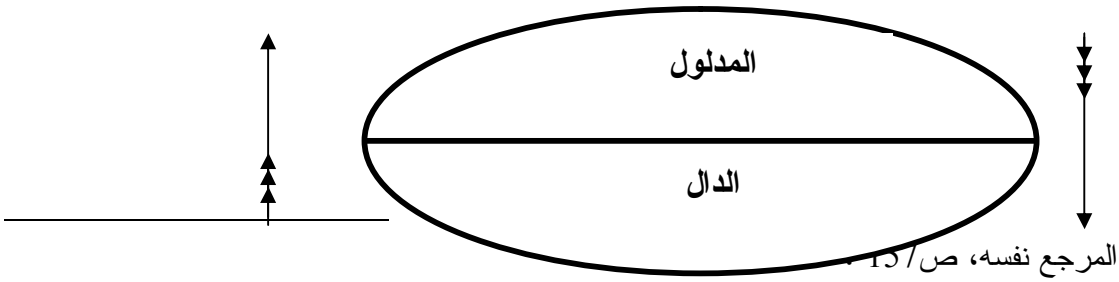

1 - المرجع نفسه، ص157 .
2 - المرجع نفسه، الموضع نفسه.
3 - عبد الله محمد الغذامي، الخطيئة والتكفير، مطبعة دار البلاد- جدة، ص 46 .
4 - عبد الله محمد الغذامي، الخطيئة والتكفير، ص46.
5 - محاضرات في الألسنية العامة، ص89 .

ولكن إذا ما تفحصنا التمثيل البياني للدال و المدلول، فإننا ندرك أن الدلالة منفصلة عن النظام،لأن مجال الكلمة مغلق، وقد صرح بذلك سوسير قائلا"فكل شيء إنما يتم بين الصورة السمعية والتصور وذلك ضمن حدود الكلمة مقدرة كمجال مغلق موجودا في ذاته"[1].إذ يكفي اعتماد طرفي العلامة اللغوية لتحديد دلالتها، دون الرجوع إلى النظام اللغوي.

لقد تعمق سوسير في بحثه عن مركز الدلالة في اللغة، وبعد ما بين بالوصف و التحليل دور الصوت في إحداث الفوارق داخل الكلمة التي تعمل على تمييزها من بقية الكلمات الأخرى إذ"أن الفوارق هي التي تحمل الدلالة"[2]. فالقيمة هي أحد عناصر الدلالة، وهما في الوقت نفسه ليستا مترادفتين[3] بل إنهما في علاقة تلازمية.

والدلالة إذا ماهي إلا"الجانب المعاكس للصورة السمعية"[4].

3- مفاهيم ذات صلة بالدلالة عند سوسير:

يتعلق الأمر بثلاث مصطلحات طرحها سوسير ليبين أن للدلالة مفهوما ووظيفة وهي: (المتصور) و(المدلول)، والقيمة أو (قيمة المتصور) .

1- المتصور(Le concept) أو المفهوم، يتحدد هذا المصطلح انطلاقا من المراحل التي تمر بها العلامة اللغوية من بداية تكوينها لدى المتكلم حتى وصولها إلى المتلقي.

فالصورة الذهنية يبدأ تشكيلها لدى المتكلم،و تقابلها الصورة السمعية المجردة التي يتم تحليلها في ذهن المتلقي؛حيث تترك أثرا نفسيا مع اختلاف درجات التأثر من شخص إلى آخر، فالمتصورات اللغوية ذات حقائق نفسية[5].

فالأثر النفسي هو المصطلح البديل للتجريدية والذهنية.لأن البنية عنده تبلغ درجة التجريد.

---

1 - المرجع نفسه ، ص139 .
2 - المرجع نفسه، ص143 .
3 - المرجع نفسه، ص139 .
4 - محاضرات في الألسنية، ص139.
5 - المرجع نفسه، ص88.

و لتحديد المفهوم الدقيق للمتصور،اعتمد تفسيرا علائقيا بنيويا،و هو ليس سوى قيمة تحددها "مقارنتها بقيم مماثلة أي بالكلمات الأخرىالتي تقابلها"[1].

2- المدلول:

لم يستعمل سوسير مصطلح المدلول في بداية حديثه- بل كان مكتفيا بمصطلح علامة للدلالة على الكل، غير أنه لاحظ لبسا بين المصطلحات، فاستبدلها بجملة مصطلحات ثلاثية الأبعاد هي:العلامة، والدال،والمدلول.والعلامة عنده تساوي: الدال والمدلول[2]مع أن الجمع بينهما غير وارد عند سوسير لأن في ذلك تقوية لمبدأ السلبية الذي يرتبط في وجوده بالنظام و الخاصية العلائقية للدال والمدلول. ولكن السؤال الذي يطرح هنا هل المدلول كاف لاحتواء المعنى اللغوي؟.

الواقع أن المدلول يتصف بالقصور و النسبية، وهو أيضا لا يقوى على استيعاب المعنى لوحده، بل يحتاج إلى القيمة ذات المستوى الأعمق. لاستدراك ما خلفه المدلول أو المتصور.

يذكر صلاح الدين الشريف فرقا بين المدلول والمفهوم، اللذين قابلهما بالإنشاء والخبر فمدلول" اللغة وضع فيها لا يقبل التصديق والتكذيب، فهو إنشائي تنشئة اللغة ذاتها بالوضع.أما المفهوم فخاص بالمستعمل له، فهو قابل للتصديق و التكذيب كالخبر"[3].

و يتضح أن المصطلحين جاءا على طرفي معادلة الكلام،فالمدلول يرتبط بما يدل عليه المتكلم،و المفهوم مايؤوله السامع.

3- القيمة المتصورية:

يوضح التصور السوسيري فكرة القيمة وعلاقتها بالدلالة؛فالقيمة مكون للدلالة وهي أحد عناصرها[4] و يصل مستوى العلاقة بينهما درجة التطابق[5].فإذا كانت الدلالة أعم من القيمة،فإن القيمة تكون علاقات داخل النظام.

---

1 - المرجع نفسه، ص140-141 .

2 - المرجع نفسه، ص89.

3 - الشرط والإنشاء النحوي للكون، بحث في الأسس البسيطة المولدة للأبنية والدلالات، منشورات كلية الآداب، جامعة منوبة ، تونس 2002م ، ج1 ،ص60 .

4 - محاضرات في الألسنية العامة،ص139 .

5 - المرجع نفسه،ص143 .

و نجد سوسير يشير إلى مخالفة المبدأ الأول وهو أن الدلالة مكون للقيمة يقول:"إن قيمة هذه الكلمة ليست ثابتة و لا محددة،وما دمنا نكتفي بالملاحظة فإنه بوسعنا تبديلها بهذا التصور أو بذاك،أي أن لها هذه الدلالة أو تلك"[1].

فالدلالة عنصر خارج النظام، حيث يقوم بتعويض القيمة اللغوية، ومن ثم فإن القيمة تبدو أعم من الدلالة.

و الذي نخلص إليه أن فكرة سوسير يبدو فيها تناقض،مع أن التحليل اللساني يقر عكس ذلك؛إذ يفسر هذا التناقض الظاهري بعمق العلاقة بين القيمة و الدلالة التي تصل درجة التجريد، وتتحقق علاقة الشمولية في الدلالة و القيمة ثم علاقة التداخل أو التجزيئ فيهما أيضا.

و الذي نراه هو إرجاع هذا كله إلى مبدأ التحديد المتبادل، فحينما تكون القيمة أعم تتقلص الدلالة فاسحة المجال للشبكة العلائقية التي تنشؤها القيمة.وتكون الدلالة أعم إذا انفتح المجال الخارجي أمام احتمالات المعنى.

فالقيمة تعمل على نقل الدلالة من خارج اللغة إلى داخلها،أي نقلها من مستوى التجريد إلى مستوى الإنجاز.

المطلب السادس: القياس عند سوسير:

حينما بحث سوسير في طبيعة اللغة واللسان، وجد أن القياس من أشكال القواعد التي تعمل على تطوير اللغة وبقائها، فاهتم به، وبين أهميته في الكلام بخاصة.

1- تعريف القياس: يعرفه سوسير على أنه "شكل جعل على صورة شكل آخر أو أشكال أخرى"[2].فالشكل الجديد يقاس على شكل آخر وجد موضعا له في اللغة وفقا لقواعد القياس. وقد صاغ العملية القياسية في معادلة رياضية بالتمثيل لقياس الكلمة اللاتينية (honor) التي حدث فيها تغيير في اللاحقة (R) التي كانت (S).

Õrătorem : Õrator=honorem:×

× =honor

---

1 - المرجع نفسه،ص140 .

2 - محاضرات في الألسنية العامة،ص197 .

وهو عنده قائم على جملة حسابات رياضية، مثل لها بالعربية بما يلي:

إذا كان جمع نصيحة= فإن جمع فريده= س=فرائد[1].

نصائح س

غير أن هذه القاعدة لا تنطبق على كل اللغة،إذ ليس بالضرورة أن يكون الجمع على وزن (فعائل) مأخوذ من الصيغة المفردة (فعيلة).

2 - طبيعة القياس وأهميته:

ينظر سوسير في عمل الألسنيين الأوائل ونظرتهم للقياس حيث كانوا يعدون كل ماخرج عن الصيغة القياسية خطأ و شذوذا.إذ خالفهم في تفسير القياس الذي كان عنده يتلخص في محاكاة نموذج آخر حتى وإن كان مخالفا للصيغة المثالية.يقول:"لم يدرك أوائل الألسنيين طبيعة ظاهرة القياس،فقد كانوا يسمونها" القياس الخاطئ" كما كانوا يعتقدون أن اللاتينية أخطأت في ابتكارها كلمة (honor) على النموذج (honos) وفي نظرهم أن كل ما ينأى عن النظام القائم إنما هو تفاوت و صدوف عن شكل مثالي, إذ كانوا يرون عبر توهم يميز عصره أن حالة اللغة الأصلية هي شيء فوقي تام. من غير التساؤل ما إذا كانت هذه الحالة قد سبقت بأخرى, و إزاء ذالك فقد اعتبرت كل حرية شذوذا "[2] .

يظهر لدى سوسير أن القياس مظهر من مظاهر التغير و التطور, فهو الى جانب التغيرات الصوتية يسهم في تطور اللغة واستقرار الأشكال فيها, بل إنه أكثر انتظاما و أهمية من التغيرات الصوتية, ذلك أن هذه التغيرات لا تدخل جديدا الا بإبطال ما كان عليه من قبل[3].

ففي القياس نلحظ الشكل القديم يستعمل بالموازاة مع الشكل الجديد وربما استعمل الواحد منهما مكان الآخر نحو كلمة (honor) التي كان أصلها(honos)،ثم إن تلاشي الشكل الأصلي بسبب قلة الاستعمال لا يعد تحولا في نظر سوسير[4].

---

1 - محمد حسن عبد العزيز، القياس في اللغة العربية، دار الفكر العربي، مصر،ط1،1415هـ1995م ص128 .

2 - محاضرات في الألسنية العامة, ص 198 .

3 - المرجع نفسه،ص199 .

4 - المرجع نفسه ،ص200 .

إن القياس كثيرا ما نجده ينتج أشكالا غير مستبدلة بأخرى نحو كلمة،(interventionnaire) التي تعني (تدخلي) على نمط (Pension :Pensionnaire) نزل، نزيل (Réaction iréctionnaire) رجعي ورجعية.

و مثل هذا العمل الاشتقاقي، يبدو خلقا و إبداعا لغويا، حتى و إن عده البعض تعديلا لكلمات قديمة[1].

وبناء على ما سبق فإن للقياس أهمية كبيرة في اللغة،إذ أنه يوجد الأشكال وينظمها مثلما يضبط النهايات الإعرابية[2].

3- أركان القياس:

يقوم القياس لدى سوسير على ثلاثة أركان رئيسة هي: المقيس، والمقيس عليه، وعلاقة بينهما قائمة على أساس التشابه في اللفظ أو المعنى أوهما معا.

تقبع هذه العلاقة بين المقيس والمقيس عليه في الشعور الفردي، وهي قوية بالموروث اللغوي الذي يختزن في الذاكرة الفردية. يقول سوسير:"إن كل خلق لا بد أن يكون مسبوقا بمقارنة لا شعورية للمواد المودعة في الإرث اللغوي، حيث تنظم الأشكال المولدة بحسب علاقاتها التركيبية والترابطية، وهكذا يتحقق جزء كبير من الظاهرة قبل رؤيتنا الشكل الجديد"[3].فالصيغة الجديدة قبل أن توجد بالفعل، فإنها موجودة بالقوة في اللغة، إن كلمة نحو:

لا يمكن تزيينه جميع عناصرها موجودة سابقا في كلمات (décor-er) زين،أو (décoration) تزيين، وكذا (able) موجودة في(pardonn-able) أي بعذر وin موجودة (in-connu) غير معلوم.

---

1 - المرجع نفسه، الموضع نفسه.
2 - المرجع نفسه،ص197-198 .
3 - محاضرات في الألسنية العامة, ص 202 .

المبحث الثاني: أندري مارتينيه والدرس النحوي(André Martinet)

تمثل الوظيفية الفرنسية امتدادا للبنيوية التي تنطلق من الجهود السوسيرية وتقوم على دراسة اللغة لذاتها وفي ذاتها، وأنها نظام من العلاقات والوظائف التي تجمع بين العناصر المشكلة للغة، إذ لا يمكن أن يدرس كل عنصر بمعزل عن بقية العناصر الأخرى المتواجدة معه أو ضمنه.

أفاد مؤسسوا النظرية الفرنسية[1] من أفكار دي سوسير التي جعلت منها منطلقا لتأسيس نظرية وظيفية، قامت في أساسها على تحديد وظيفة اللغة.

المطلب الأول: تعريف اللغة.

يعرف مارتنيه اللغة على أنها"أداة تبليغ يتم وفقها تحليل التجربة البشرية بكيفية مختلفة، عند كل قوم إلى وحدات ذات محتوى دلالي ومركب صوتي هي الكلمات، وإن المركب الصوتي يتقطع بدوره إلى وحدات متمايزة متوالية هي الصوتيات و تكون بعدد محدود في كل لسان؛ إلا أن طبيعتها وعلاقاتها المتبادلة تختلف أيضا من لسان إلى لسان آخر"[2].

يحمل هذا التعريف شحنة كبيرة من مبادئ النظرية الوظيفية، يمكن ايجازها في ثلاثة مبادئ هامة.

1- المبدأ الأول: اللغة وسيلة تبليغ واتصال تنقل المعارف البشرية وتعكس الفكر الإنساني، وتعمل على دراسته وتحليله. وهذا يتمثل في وظيفة اللغة، وهي وظيفة مركزية أضيف إليها جملة من الوظائف نحو: الوظيفة التعبيرية، الجمالية، الشعرية وغيرها.

2- المبدأ الثاني: إذا كان التبليغ يمثل وظيفة اللغة كلية، فإن التمفصل المزدوج يمثل دراسة اللغة وظيفيا، وهنا يتحدد الفرق بين هدف اللغة، ومنهج وموضوع اللغة؛ إذ أن المنهج وظيفي يعمل على ضبط و تعيين وظيفة كل وحدة لغوية، ولا يمكن إثبات ذلك إلا بالممارسة التطبيقية لهذه الوحدات، حيث تسهم في إبراز المعنى داخل التركيب.

---

1 - وهم :أعضاء حلقة براغ، ومنهم تروبتسكوي، ومارتينيه وغيرهم كثير.

2 - مبادئ في اللسانيات العامة، ترجمة:سعدي زبير، دار الآفاق– الأبيار الجزائر، ص24 .

وعلى المتكلم أن يعرف وظيفة كل وحدة من وحدات اللغة حتى يحسن استعمالها في عملية التبليغ، ثم إنه لا يمكن الحديث عن وظيفة واحدة للعلامة اللغوية، وإنما تختلف وظائفها بحسب تعدد استعمالاتها.

3- المبدأ الثالث: يعكس تتبع انتظام الوحدات اللغوية في سلسلة من الأصوات المشكلة للكلمات أو الجمل فكرة الخطية التي طرحها سوسير. فالجملة هي بمثابة الخط المستقيم المكون من مجموع نقاط متتالية[1]، لكن الخطية غير كافية لتغيير العلاقات الحاصلة بين العناصر أو الجمل، و لذا يجب البحث عن شكل آخر يبرز الوظائف التي يطمسها التتابع الخطي[2].

و الواقع إن تصورا ما لنظام العلامات اللغوية يعطينا عدة أشكال يمكن أن تفسر العلاقات المختلفة منها الشكل الدائري[3] الذي يفسر دوران العناصر التابعة حول العنصر المركزي للجملة، فينظم هذا العنصر أو ذاك مشكلا سلسلة من العناصر المتآلفة ذات المعنى الموحد.

أو الشكل اللولبي الذي اعتمد للكشف عن مبادئ النحو العربي و أصوله النظرية واصفا المواضع بأنه نظام " أنظمة وسمية مسترسلة في مستويات الأبنية الإعرابية و العلل النظرية النحوية"[4].

فهذا الشكل يفسر النظام النحوي المجرد و المنجز، إنه يقتفي أثر كل ما يشكل الجملة و يحيط بها داخليا وخارجيا، وعلى المستويين السطحي و العميق، و في الاتجاهين الخطي و الرأسي.

و يمكن تمثيل الشكلين في الرسم الآتي:

الشكل(1)

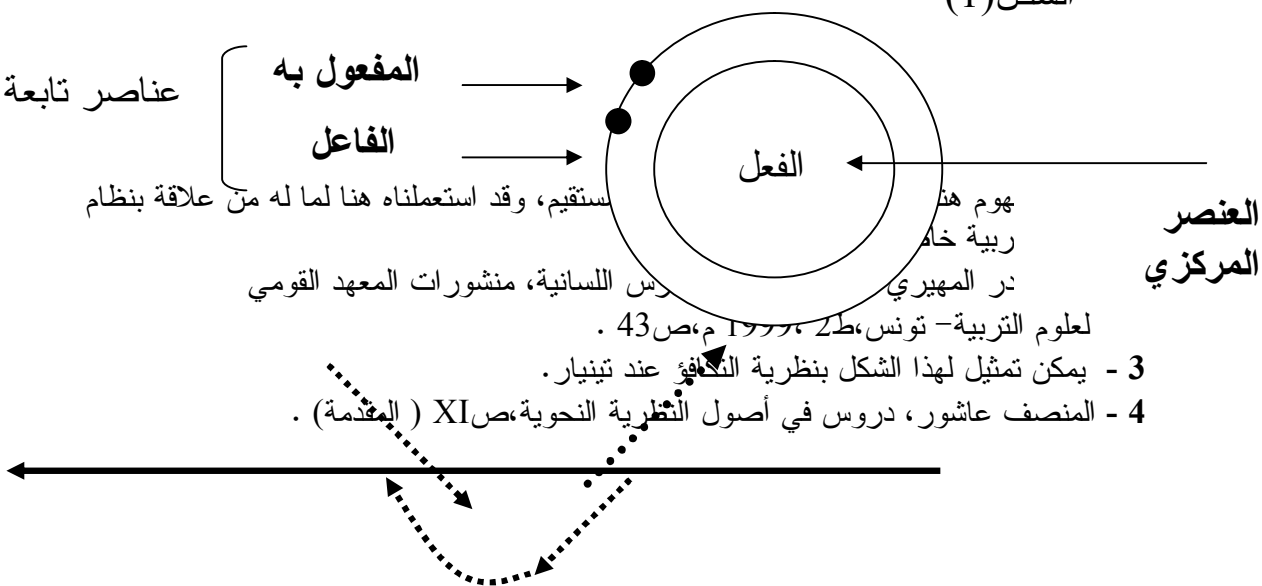

هوم هنا ... ستقيم، وقد استعملناه هنا لما له من علاقة بنظام
ربية خاص
در المهيري ... روس اللسانية، منشورات المعهد القومي
لعلوم التربية– تونس،ط2 ،1999 م،ص43 .

3 - يمكن تمثيل لهذا الشكل بنظرية التكافؤ عند تينيار.

4 - المنصف عاشور، دروس في أصول النظرية النحوية،صXI (المقدمة) .

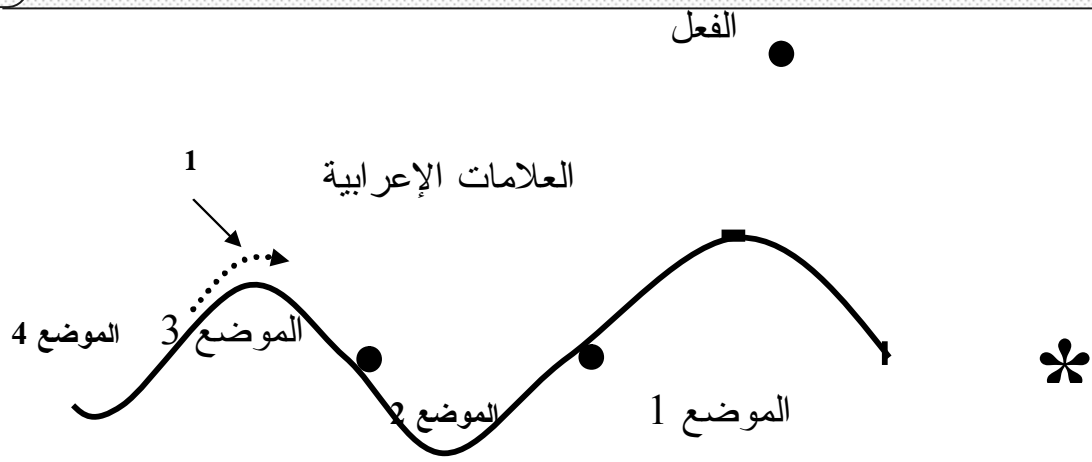

الشكل (2)

المطلب الثاني: أقسام الكلام وظيفيا.

نظر مارتنيه في بعض اللغات الأوربية (كالروسية، واللاتينية،و الفرنسية....) فوجد أنها ذات سمة مشتركة في أقسام الكلام نحو: الأفعال و الأسماء،و الصفات،و الظروف و الضمائر،و حروف الجر.

ثم بين أن معظم هذه الأقسام ذات استعمال إسنادي،أي تدخل في التركيب الإسنادي مكونة تركيبا إسناديا دالا على الحدث والشخص هو مركب فعلي، وتركيبا دالا على العدد والملك هو مركب اسمي.

و قد ساق مارتنيه عدة تراكيب تحمل قرائن إما دالة على فئة الأسماء، أو دالة على فئة الأفعال تتسم بالاستمرارية، والحدث.

تأتلف الكلمات مثل:بيت مع ضمائر الأشخاص نحو:أنا،وأسماء الإشارة نحو:"هذا" فتكون لنا تركيبا اسميا:هذا بيتك، بيت الأم، أنا الأم[2].

و تأتلف هذه الأسماء نحو: جبل، وبيت مع قرائن دالة على الحدث و الاستمرارية فتعطينا:جملة نحو، هو"**يدفع شيئا ما**".

أما الأفعال التي تكون تركيبا إسناديا نحو:(**Jette,donne,mange**) أي ارم، اعط، كل؛ فهي لا تقوم إلا بوظيفة الإخبار ولا تخرج عن هذه الوظيفة إلا إذا استعملت مشتقات دالة على اسم الفاعل واسم المفعول،و المصدر فحينئذ يتغير حكمها[1].

---

[1] - يمثل الخط المتقطع انتقال العناصر من موضع إلى آخر تقديما أو تأخيرا تمثيلا للموضع الوظيفي الذي أسند إليها.

2 - مبادئ اللسانيات العامة، ص125 .

تحمل الصفة خاصية الانضمام إلى التركيب الإسنادي، وهي تختلف في تركيبها ووظيفتها عن الأسماء والأفعال،نحو:"La maison est neuve "البيت جديد أو السماء صافية.

أما الظروف فهي كلمات مستقلة نحو:أمس،سريعا. وتدخل في التركيب باعتبارها عنصر تكملة.نحو:"il allait tristement ".

أما الحروف و الأدوات،فالأداة "car " "لكن" لا تظهر بالصورة نفسها التي تستعمل بها حروف العطف،و، وأو.

يتضح مما سبق أن تصنيف أقسام الكلام كان قسمان وظيفيان هما:

1. وظائف أولية.
2. وظائف غير أولية.

و قد تتداخل هاتان الوظيفتان، فتكون الوظيفة الأولية:"هي التي تتصل مباشرة بالملفوظ باعتباره كلا لا بأحد عناصره، و الوظائف غير الأولية هي التي تتصل بعنصرمن عناصره"[2].و يمكن التمثيل لوظيفتين لبيان الفرق بينهما بما يلي:

اتجه الوالد إلى الحج على متن باخرة طارق بن زياد.

إذ يمكن تحديد الوظائف الأولية و التي تتمثل في"اتجه"و"الوالد" و إلى الحج" أما بقية العناصر فهي إضافية غير أساسية لأن محتوى الأخبار يتضمنه الجزء الأول من التركيب ومازاد عنه يطلق عليه ركن التوسيع الذي تم بعنصر الإضافة.

فالتوسيع "يتمم النواة الإسنادية كما يتم عناصر أخرى من الملفوظ، وهو من ناحية أخرى يمكن أن يكون لفظا واحدا أو مركبا نحو"syntagme " أو مركبا إسناديا"[3].

فالمعيار الوظيفي الذي اعتمده أصحاب هذه النظرية قادهم إلى تصنيف أقسام الكلام إلى ثلاثة أصناف هي:

1. الصنف الأول وهي اللفاظم المستقلة و تتمثل في الظروف نحو،أمس،وغدا،أمام،و الأفعال،و الأسماء.

---

1 - مبادئ اللسانيات العامة،ص126.
2 - عبد القادر المهيري،أهم النظريات اللسانية،ص49 .
3 - المرجع نفسه ،ص51 .

2. **الصنف الثاني:** وهي اللفاظم الوظيفية نحو:حروف الجر وحروف العطف.

3. **اللفاظم التابعة:** و تتمثل في المركبات النحوية، والتوابع والمضاف إليه، والإعراب في الأسماء، والرتبة مثلما هو الشأن في العربية.

قلنا سلفا إن من اللفاظم ما تخضع وظيفتها للموقع، ولكن هذا الحكم لا ينطبق على كل اللفاظم،حيث نرصد منها ما يمثل استقلالا وظيفيا و لا يخضع لتأثير الرتبة نحو التركيب الظرفي: قبل المغرب،بعد الشروق،فإنها تتمتع بحرية موقعية دون أن يحدث للتركيب أي تغيير في المعنى نحو قولنا: دخل طارق المنزل قبل المغرب،أو قبل المغرب دخل طارق المنزل، أو دخل طارق قبل المغرب المنزل.

و تمثل العربية حرية ترتيب العناصر داخل التركيب بمراعاة العلامة الإعرابية نحو: (**وإذِ ابْتَلَى إبْرَاهِيمَ رَبُّهُ**)[1] أو قدم المزكي أمواله لصندوق الزكاة، أو المزكي قدم أمواله لصندوق الزكاة، لصندوق الزكاة قدم المزكي أمواله.

و تشكل السوابق المتمثلة في"ال" التعريف، وحروف المضارعة، مضافا إليها أزمنة الفعل، وظيفة مقامية.

فإذا قلنا : الرجل قائم.

أو رجل قائم.

فإن كلمة" الرجل" معرفة، إذ تعين لدينا نوع الرجل الذي قام، أما في المثال الثاني فهو نكرة مجهول غير محدد.

أما في التركيب الفعلي يتحدد نوع الزمن، و الشخص من خلال صيغة الفعل التي ترتبط بسابقة (يــ) أو(تــ) أو(نــ)

فنقول في ج(1) يأمر الأب ابنه بالصلاة.

و ج(2) تأمر الأم ابنها بالصلاة.

و ج(3) نأمر أبناءنا بالصلاة.

---

1 - البقرة/124.

نلحظ أن هذه السوابق غيرت من التركيب؛ ففي ج(1) تدل (الياء) المتصلة بالفعل على المفرد المذكر، وزمن الحال المستمر. أما(التاء) في ج (2) فإنها تدل على المفردة المؤنثة، وتدل (النون) في ج(3) على جماعة المتكلمين.

المطلب الثالث: الأحكام التركيبية في النظرية الوظيفية.

لبيان طبيعة الأحكام التركيبية يجب أولا تحديد مفهوم التركيب كما قدمه مارتنيه. يقول:"هو دراسة وظائف وحدات الخطاب،أو هو دراسة العلاقات التي تربط هذه الوحدات و التي تسمح للسامع بإعادة بنائها بدءا من الملفــوظ الخطي(Lenearite)"[1].

فالتركيب معرفة الطرق التي ترتبط بها العناصر،ثم إدراك العلاقات ودراستها.

إنه في علاقة تداولية بين المتكلم و السامع؛ إذ يقوم المتكلم بتأليف العناصر وتركيبها و يعمد السامع إلى تحليلها، لأنهما اشتركا في معرفة وظائف الوحدات والعلاقات التي تنشأ عن هذه الوظائف.

تقوم التركيبية عند مارتنيه في علاقة ثنائية مع الصوتمية، ولكن الذي يهمنا هو التركيز على الدراسةالتركيبية، وبيان أهميتها في البحث عن المعنى و الوظيفة – وللوصول إلى هذين الهدفين، ينبغي تفكيك التركيب إلى الوحدات الدنيا المتتابعة.

المطلب الرابع:العلاقات التركيبية و العلاقات الاستبدالية:

يقوم نظام التركيب عند الوظيفين على جملة العلاقات التي تنتجها الوحدات اللغوية الدالة[2] يمكن الحصول عليها و معرفتها من خلال تحليل التراكيب الإسنادية، فقد ساق مارتنيه مثالا لفهم التركيب و بيان طريقة التحليل الوظيفية هو" Hier,il yavais fete au village " أي، البارحة كان عيد في القرية، فكلمة "Hier" لها دلالة مستقلة، وكذا

1- élément de l'inguistique générale , librairie Arman colin, paris 1970, p209 .

2 – يترجمها عبد القادر المهيري "اللفاظم" "Monémes" ، ينظر أهم النظريات اللسانية ص46 .

التركيب"au village" إذ هما مستقلان عن مضمون الجملة، و لذا فإن مارتنيه يقول بالاستغناء عنهما دون أن يحدث تغيير في الدلالة المركزية للجملة، ذلك لأن المعنى منحصر في "il yavais fête" ومركز هذا التركيب هو"fête" إلا أنها لا تؤدي وحدها وظيفة الإخبار[1] فهي بحاجة إلى مسند إليه[2].

وتوصل مارتنيه إلى أن أصغر تركيب هو ما احتوى على عنصرين "وحتى يكون ذلك لا بد من سياق، بمعنى لا بد على الأقل من كلمتين تحمل إحداهما خصيصا الخطاب، وتعتبر الأخرى اجتعالا له"[3].

أما أنواع التكملة فهي المضاف والمضاف إليه، والنعت، والمفعول به و غيرها...

و يستمر مارتنيه في ترسيخ فكرة الإسناد بضرب مثال آخر يحمل الكلمة المركزية الدالة على مضمون الكلام،وهو الفعل"tue" أي قتل إذ نضيف وحدة تركيبية إلى الفعل هي الضمير"je" فنقول:"je tue" أو هو قتل، أو قاتل. ويمكن لكلمة أخرى أن تحل محل الضمير وهي" الكحول" فيصير التركيب "الكحول قاتل"[4].

فالمسند والمسند إليه عنصران إلزاميان لا يمكن حذف أحدهما، إنهما كالجزء الواحد مثلما قال النحاة العرب.

لنتأمل التركيب الذي مثل به مارتنيه"les chiens mangent la soupe" الكلاب تأكل الحساء،أو هي تأكل الحساء. إذ لا يمكن إسقاط عنصر" الكلاب" ولا" تأكل" من التركيب.أما كلمة الحساء" يمكن حذفها دون أن يتغير المعنى، ذلك لأنها ليست عنصرا محوريا في الجملة، بل مكملا اختياريا.

أما إذا قمنا بتغيير مواقع الإسناد، فإن وظيفة المسند تتغير من عنصر إجباري إلى عنصر اختياري يخضع للحذف والإسقاط. فالمثال "les chinois mangent les chiens"أي

---

1 – مبادئ في اللسانيات العامة،ص113 .

2 – ترجمه أحمد حمو:أداة التحصيل، ينظر: أحمد قدور ،مبادئ اللسانيات دار الفكر المعاصر بيروت، ودار الفكر سوريـــــا، ط2،1419 هـــ- 1999 م، ص246 .و سعدي زبير بالاجتعال،مبادئ اللسانيات العامة،ص112 .

3 – المرجع نفسه،ص112 .

4 - مبادئ في اللسانيات العامة، ص113 .

الصينيون يأكلون الكلاب[1] نلحظ فيه تزحزح وظيفة" الكلاب" من عنصر مركزي إلى عنصر تابع أو فضلة.

و من ثم نخلص إلى أن وظيفة الوحدات تختلف باختلاف مواقعها و القيمة الممنوحة لها.

و صار من الصواب إطلاق ما يستغني عنه مضمون التركيب فضلات.

المطلب الخامس: مفهوم الفاعل وظيفيا.

يحدد مارتنيه الفاعل تحديدا وظيفيا يخرج فيه عن المفهوم الاعتيادي له. يقول:"الفاعل بصورة عامة هو مفعول كغيره، و لكنه مفعول ضروري وجوده"[2].و"أنه المفعول الإلزامي للمسانيد الفعلية"[3] و يرفض بشدة أن نعمد إلى المعيار المنطقي، كالعلامة الإعرابية أو الرتبة لأنهما متغيران. وهناك كثير من اللغات لا يحدد الفعل فيها عن طريق الوسم أو الموقع[4] . فالعلامة الإعرابية تزول في الأسماء المقصورة نحو: ضرب موسى عيسى فالقرينة الوحيدة التي يلجأ إليها لتحديد الفاعل هي الرتبة، ولكن ما الدليل على أن الاسم الأول هو فاعل، و الاسم الثاني مفعول به؟ فقد يكون في نية المتكلم عكس ذلك فحينها يقع اللبس و يغمض المعنى. و الواضح من خلال كلام مارتنيه،أنه حاول أن يضع مفهوما للفاعل ينطبق على عدد أكبر من اللغات.إنه يسعى"نحو تنظيم نحوي مختص"[5] فالاحتمالات التي يحملها التعريف هي:

1. إن الفاعل في الفعل اللازم يشبه المفعول العائد لفعل متعد، إذ أنه يحمل السمة ذاتها، وهي اشتراكهما في حالة اسمية واحدة سميت هذه الحالة بالتوافقية، وأما مؤشر الامتزاج المتمثل في نيابة المفعول به للفاعل في المبني للمجهول أشار إليه النحاة. يقول ابن يعيش:" و أما إقامة المفعول مقام الفاعل في هذا الباب،فلإن لا يبقى الفعل حديثا عن غير محدث عنه، فإذا كان الفعل يتعدى إلى مفعول واحد،نحو:ضرب زيد عمرا، حذفت

---

1 - مبادئ في اللسانيات العامة، ص113-114 .

2 -وظيفـــة الألسن وديناميتها، دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان،ط1 – 1416 هـــ1996 م،ص249.

3 - المرجع نفسه،ص246 .

4 - المرجع نفسه،ص243 .

5 - وظيفة الألسن وديناميتها، ص 243.

الفاعل و أقمت المفعول مقامه، فقلت :ضرب عمرو، فصار المفعول يقوم مقام الفاعل"[1]

2 . معيار الوجود الإلزامي، وهذا المعيار يراه مارتنيه أكثر إجرائية .

3 . الفاعل لا يمكن حذفه، حتى لو لم يتطلبه التركيب نحو: تمطر، تثلج[2]. فإننا نفترض لهذين التركيبين فاعلين.

وقد عوض حذف الفاعل بوصفه اسما ظاهرا بضمير متصل أو مستتر في العربية، و الأمر نفسه بالنسبة للألمانية، التي تستعمل ضمير المفرد الغائب"wird" في التركيب "hier wird getanzt" أي (هنا، نحن نرقص).

و نلحظ في الفرنسية الضمير المخاطب دليلا على حضور الفاعل في صيغة الأمر نحوVa-t'en ، ومثله التركيب"il ya un homme " هناك ثمة رجل[3].

فإذا عرضنا المثال الذي أعطاه مارتنيه للتمثيل على الفاعل الحقيقي فإننا نلحظ ما يلي:

الصبي قتل العصفور، فالصبي فاعل،أما إذا قلنا: العصفور قتل بواسطة الصبي[4] فالمفعول به ناب عن الفاعل وهو العصفور وقد اصطلح عليه المفعول به الفاعلي، ويقابله مصطلح النحاة العرب المبني للمفعول وهو قريب منه دلالة ووظيفة،لأن الذي يصلح أن يكون نائبا في الدرجة الأولى هو المفعول به.

و لعلنا نلمس في التراكيب العربية ما يخدم فكرة مارتنيه الوظيفية في تحديد الفاعل، إذ نجد العرب تقول: مات زيد، وسقط الحائط."فرفعوا الاسمين،وإن لم يكونا فاعلين في الحقيقة"[5].

فعلينا إذا أن نميز في العربية وغيرها بين أنواع الفاعل،وهي فاعل حقيقي،وفاعل وظيفي أو(خاضع).

5- يمكن إدراك الفاعل داخل التركيب بالنظر إلى المعنى (أي دلاليا) .

6- إن تحديد الفعل و الفاعل في التركيب يخضع للثنائية الوظيفية التي تقول بتتابع الفونيمات و المونيمات و انبعاثها في نظام مزدوج[1].

---

1 - شرح المفصل،ج4،ص309 .
2 - وظيفة الألسن وديناميتها،ص 244-245 .
3 - المرجع نفسه،ص245 .
4 – المرجع نفسه، ص247 .
5 – شرح المفصل، ص307 .

1 – وظيفة الألسن، ص 249 .

المبحث الثالث:لوسيان تنيار والدرس النحوي (Lucien téniere)

المطلب الأول: الحكم النحوي بين التكافؤ والتعدية

التكافؤ (la valence) مصطلح اقتبسه اللساني الفرنسي لوسيان تينيار **(Lucien téniere)** من الكيمياء ليعطيه مفهوما لسانيا،إنه يقارن الفعل في جملة ما بذرة تستقطب اليها ذرة أو ذرات مكونة جزيئا.

فوضعية الفعل في ارتباطه بعناصر أخرى مشكلا جملة شبيهة بهذه الذرة و العناصر التي يرتبط بها الفعل يسميها تينيار المفاعلات (les actants) وهي عنده "الأشخاص أو الأشياء التي تشارك بقدر ما في الحدث،...أو هي التوابع المباشرة للفعل"[1].

فتكافؤ الفعل عند تينيار يتمثل في عدد المفاعلات التي يحققها الفعل؛ إذ يكون الفعل أحادي التكافؤ إذا أخذ مفاعلا واحدا، أو ثنائي التكافؤ إذا أخذ مفاعلين، وثلاثي التكافؤ إذا أخذ ثلاثة مفاعلات...

و من ثم نتبين تعريف التكافؤ الذي عرف على أنه "احتياج الفعل دلاليا إلى عنصر أو أكثر ليكون ملفوظا"[2].

أما التعدية فقد عرفها توراتييه تعريفا لسانيا، وهي مقابلة للتكافؤ، يقول" هي انضمام الفعل إلى ركن (syntagme) مشكلا ركنا فعليا أدنى و بالتالي استخراجيا"[3].

نشير هنا إلى أن التكافؤ أراده تينيار مفهوما تركيبيا يستعمل بديلا للثنائية مسند و مسند إليه التي يعتبرها منطقية لا تركيبية [4] لأن النحو تأسس في ظل المنطق.

إلا أن التكافؤ في علاقته بالمفاعلات يظهر قوة دلالية لا تركيبية فهو أساسا مفهوم دلالي[5] ثم إن كلامه عن الفعل أنه معبر عن الحدث، وأن هذا الحدث يشارك فيه أشخاص أو أشياء دليل على أن مجال التكافؤ الدلالة.

---

1 éléments de syntaxe structurale, préface De: jean fourquet 2eme édition, quatrième tirage, Edition Klinecksiek paris 1982,p105 –106 .

2 Cristien touratier,équisse d'analysse syntaxique.in l'information grammaticale,N°43.paris,p12.

3 Ibid,p12.

4 éléments de syntaxe structurale,p103.

5 C.touratier,valence et transivation,in Etude de Linguistique générale et de linguistique latine offertes on hommages à guy serbat,1987,p406.

ينضم تنيار إلى المناطقة في اعتمادهم مصطلحات رياضية تفيد في تحليل الجملة منها مفهوم "التبعية"[1] والسندات(Arguments) والمتغيرات"Variables"، فالمسند ينضم إلى الفعل مكونا معه قضية أو تابعا للقضية[2] نحو:جاء الأب،فـ"جاء" محمول أو تابعا للقضية، أما الأب"سند".

و الواضح أن تنيار لم يخرج عن دائرة المسند والمسند إليه،فهما مصطلحان منطقيان،لكن اتسعت وظيفتهما، بالنظر إلى المحمول المنطقي الذي لا يطابق المسند بمفهومه اللساني، فالمصطلحان متوازيان لا متطابقان، و بالمقابل فإن السندات لا تتطابق مع المفاعلات. فالمحمول عند المناطقة يتصف بحضور السندات ولا تتم القضية إلا بحضورها كلها نحو: أدى الرجل فريضة الحج، إذ لا يكتمل معنى الفعل "أدى" إلا بحضور عنصر"الرجل، و "فريضة" و "الحج". فالفعل هنا ثلاثي التكافؤ.

أما المفاعلات فهي تنسجم مع الحذف،لأن طبيعتها دلالية لا تركيبية، فكثير ما يحذف أحد المفاعلات دون أن يؤثر على المعنى، فإذا أخذنا الفعل المتعدي:"أكل"فإننا نكتفي بتشكيل جملة أو قضية بإضافة تابع له وهو "الولد"، دون ذكر "المأكول" لأن الفعل يتضمن آكلا ومأكولا، ونظيره: الفعل "ضرب" الذي يقتضي ضاربا ومضروبا[3]. فالحذف إذا خاصية دلالية لا تركيبية.

أما التعدية فهي ذات مستوى متصل بالوظيفة التركيبية للجملة و تتمثل في الحضور الفعلي للعناصر المكونة للتركيب. إذ تعرف التركيبية بأنها" دراسة بناء الجملة، أي دراسة العناصر في علاقاتها وتضامها و انتظامها داخل البناء" [4].

فالتركيب عنده هو دراسة الشكل الداخلي العميق[1]، ورصد الوظائف التي تقوم بها الوحدات داخل الجملة. وما الجملة عنده إلا "مجموعة العناصر المنظمة المكونة من

---

1 – تجدر الإشارة إلى أن مفهوم التبعية هنا ليس ما يعنيه النحاة العرب من نعت ومنعوت، ومضاف و مضاف إليه، وإنما هي عدد العناصر الأساسية أو غير الأساسية التي تخضع لتحكم الفعل و سيطرته، و تكون تابعة له ، وهي تشكل معه المحور أو البؤرة. ينظر:سعيد حسن بحيري نظرية التبعية في التحليل النحوي، مكتبة الأنجلو مصرية، ط1، 1408هـ - 1988م، ص151 .

2 - Eléments de syntaxe structurale,p104

3 – يقول الرضي:"فالضرب نسبة بين الضارب و المضروب". شرح الكافية،ج1، ص162 .

4 - Eléments de syntaxe structurale,p11.

الألفاظ"[2].يعقد تنيار بين التركيب والدلالة علاقة موازنة تعكسها ثنائية التعدية و التكافؤ اللتان تمثلان البنية العميقة (الداخلية) للجملة.

فالأحكام النحوية ذات العلاقة بالمستوى الدلالي تتمثل في الحذف والتقدير والاستثناء . والتي توجد في البنية العميقة بمفهوم التوليديين وهي تخرج عن كونها مفاهيم تركيبية، لأنها مؤلفات لا تنتمي إلى الواقع الشكلي،ولكن المعنى يقتضيها. إذ يقوم التقدير على استحضار العناصر الخفية للبنية الدلالية.

فالجملة أضحت شبيهة في الروابط التي تعقدها مع العناصر التي تتألف منها، بالجزئيات.

1- قوة الفعل:

ينتصر تنيار لفكرته القائلة بأن الفعل هو مركز التركيب،إذ أنه يجعل منه عنصرا مسيطرا أو متحكما في العناصر التابعة له[3]. و ليس شرطا أن تحضر كل العناصر الخاضعة لسيطرة الفعل، بل يكتفي بما يؤدي المعنى فيوصف الفعل حينها بأنه مشبع. ويتضح هذا في المثال الآتي:

أكل الولد تفاحة ⟵ أكل الولد.

2- أقسام الفعل:

يقسم تنيار الفعل من حيث القوة إلى أربعة أقسام، وهي متدرجة في عدد العناصر التي تسيطر عليها؛ و الحدث الذي تقوم به.

أ- **القسم الأول**: و يطلق عليها تينيار أفعال لا قوة لها(Avalent) ، وهي التي لم يخضع فيها الحدث لمشاركة شخص أو شيء، وتنحصر عنده في الأفعال التي لها علاقة بالأرصاد الجوية نحو:أمطر،أثلج. فالأفعال تشير إلى حدث وقع من دون مسبب له،وهو ما سماه بالفاعل الظاهري(غير الحقيقي)[4].

و يتضح أن الحدث يلتف حول نفسه مثلما يوضحه الرسم الآتي:

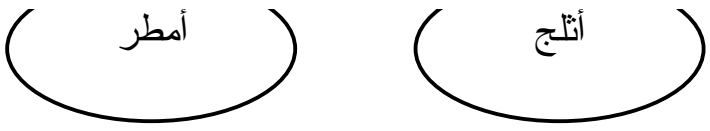

il pleut — il neige

1 - سه — مية في النح

2 - Eléments de syntaxe structurale,p11 .
3 - Ebid , p106.
4 - Ebid,p 106 .

ب-أفعال ذات قوة واحدة،أو أحادية التكافؤ (Monovalent) ،وهي ما يعرف في النحو العربي بالأفعال اللازمة (intransitive) نحو:

1. سقط الطفل.
2. صام الأب.
3. قام الرجل.
4. استيقظ الصغير.

فالحدث هنا يختص بعنصر أساسي واحد، إذ لا يمكن أن نستبدل، الفاعل في (1) أو (2) أو (3) أو (4) فقوة الفعل تجذب إليها هذه العناصر التابعة ولا تحتاج إلى غيرها،لأن دلالة الفعل مكتملة.

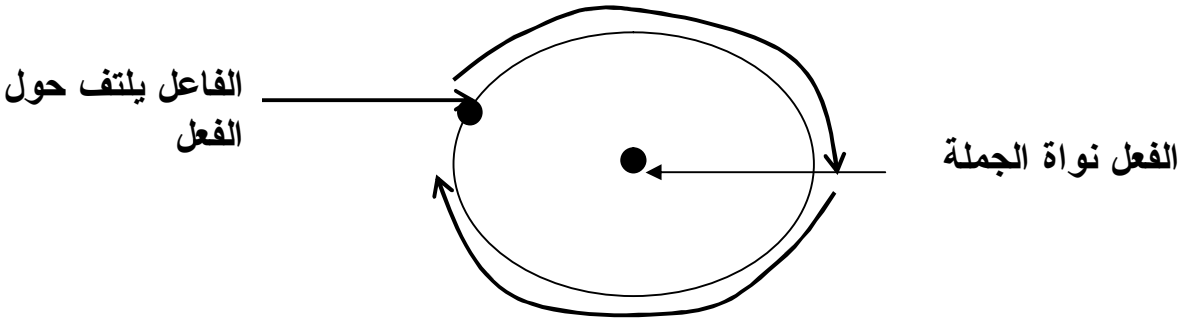

جـ- أفعال ذات قوتين أي ثنائية التكافؤ(Divalent) و هي الأفعال المتعدية (v.transitive) إلى واحد نحو:[1]

Alfred frappe Bernard

ضرب زيد عمرا

ففي هذه الحالة فإن"زيد" هو الضارب، و"عمرا" هو المضروب.

ونسجل هنا التقاء التكافؤ بالتعدية، فالفعل ثنائي التكافؤ، ومتعد إلى مفعول واحد، فالتكافؤ يفسر العلاقة التي أنشأها الاسمان"زيد،وعمرو" مع الفعل "ضرب"،أما تركيبيا فإن الفعل كون علاقة المفعولية مع الاسم"عمرا"فنصبه. يقول الرضي في تفسير وجهي

1 - Eléments de syntaxe structurale,p **107**

الاستعمال للمفعول به، حينما يكون عمدة و يكون فضلة، " لأن المفعول به وإن كان من حيث كونه ضميرا متصلا كالجزء لكنه من حيث كونه مفعولا كالفضلة"[1] .

ففي التفسير الدلالي والتركيبي للمفعول به، يكون كالجزء من الجملة أو من الإسناد لا يستغنى عنه، فيوصف بأنه مفعول دلالي، و يكون فضلة بإمكان الجملة تركه ويوصف بأنه مفعول تركيبي. و الذي نقصده هنا أن النحاة العرب فرقوا بين ما هو تركيبي وما هو دلالي فهذا مسلك من مسالك دراسة الأحكام النحوية وفق منظور وظيفي.

د- الأفعال ذات ثلاثة قوى، أي ثلاثية التكافؤ:(trivalents) :

و هي الأفعال المتعدية لمفعولين، ويرى تينيارأن هذا القسم هو تطور للقسم السابق،وأنه أكثر تعقيدا[2] وهنا تطرح أمامه إشكالية الحدود بين العناصر الأساسية والعناصر الإضافية.

يبحث تنيار في تطور قوة الأفعال من أحادية إلى ثنائية إلى ثلاثية التكافؤ التي تفسر في عملية تراجعية على أنها متضمنة في بعضها؛ أي أن الأفعال الثنائية التكافؤ هي أيضا أحادية التكافؤ، والأفعال الثلاثية التكافؤ هي متضمنة لأفعال ثنائية التكافؤ[3] .

و كذلك فإنه من الممكن أن الأفعال أحادية التكافؤ قد أخذت من الأفعال التي لا قوة لها، وهذا التطور الحاصل على مستوى تعدد المفاعلات بإمكانه أن يولد لنا أفعالا رباعية التكافؤ(tétravalent) .

وبناء على عدد العناصر الخاضعة للفعل فإنه يقيم علاقة مميزة بين الأفعال. وتوصل إلى أن معاني الأفعال تختلف باختلاف عدد عناصرها، و إمكانية تبادلها، حيث مثل هنا بالفعلين"Tombe " و"renverse"

ففي ج (1) Alfred tombe – الفريد سقط.

ج (2) Bernard renverse alfred - أسقط برنالد ألفريد.

فالاختلاف بين الفعلين في امتلاكهما عددا مختلفا من المفاعلات؛ فالفعل "سقط" أحادي التكافؤ، أما الفعل"أسقط" فهو ثنائي التكافؤ. ومثله الفعلين "montrer " و " voir"

---

1 – شرح الكافية،ج1 ،ص167 .

2 - Elements de syntaxe structurale,p242et 258-

3 - Epid, p 258.

1- Alfred voit une image (3) ج

2-charles montre une image a Alfred. (4) ج

الفعل في ج (3) ثنائي التكافؤ،أما في ج (4) فإنه ثلاثي التكافؤ وهي:

"charles" و "L'image" و"Alfred "[1].

و الملاحظ هنا أن هناك قوة إضافية ترد عن طريق الأفعال المساعدة، وفي العربية عن طريق وسائل التعدية كالهمزة و التضعيف وألف المفاعلة وغيرها. ونجد أفعال المنح و العطاء التي تمثل التكافؤ الثلاثي،نحو:

ج(5) منح المدير الطالب جائزة.

ج(6) علمت زيدا قائما.

إذ تفسر العلاقات التكافؤية هنا بارتباطها تدريجيا بالفعل، وهذا التدرج هو الذي يعكس التوسع الامتدادي[2] وتتضح فيما يلي:

- علمـ (أنا) زيدا قائما.
- علمـ(ـت) + (...)+ (...)
- علمت زيدا+ (...)؟

علمـــت زيدا قائما.

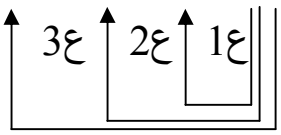

ويتقلص هذا التركيب بالمبني للمجهول فيحذف المفاعل الأول نحو:علم قيام زيد، وتتحول المحلات الاعرابية من النصب إلى الرفع والجر.

وهذا يفسر قول الرضي"مضمون الفعلين هو المفعول الحقيقي"[3] فنقول:علمت قيام زيد. في العربية أفعال ذات أربع قوى،أي رباعية التكافؤ، وهذه الإمكانية يصل إليها الفعل بتقويته عن طريق همزة التعدية نحو:

---

1 - Eléments de syntaxe structurale,p106.

2- ينظر:سعيد حسن بحيري، نظرية التبعية في التحليل النحوي،ص208 .

3- شرح الكافية،ج1 ،ص182 .

أعلمت زيدا عمرا حاضرا.

والواضح أن هناك عناصرً أساسية، وعناصرً غير أساسية(إضافية) ويتضح هذا العنصر الإضافي بتحويل التركيب إلى:

أعلمت زيدا حضور عمرو.

فالحضور هو العنصر الأساسي في التركيب لاتصاله بالفعل"أعلم" لما فيه من إخبار بوجود شيء ما، ثم يأتي "زيدا" في المرتبة الثانية لأنه مخبر،أما "عمرو" فهو عنصر إضافي تابع للحضور إنه يمثل جزءا من العملية الإخبارية- فهو مخبر عنه. هذا من الناحية التركيبية، أما الجانب الدلالي فإن المعنى يتضمن أربعة منطلقات أساسية وهي:

1. الإخبار- الحضور.
2. مخبر (بكسر الباء) (أنا) التاء في الفعل أعلمـــ(ـــت) .
3. مخبر هو (زيد).
4. مخبر عنه عمرو.

و لذا قيل الفعل رباعي التكافؤ، لأنه أسس لأربع علاقات.

و من خلال ما سبق يمكن التمثيل للتعدية و التكافؤ بالرسم البياني الآتي:

البنية العميقة للجملة

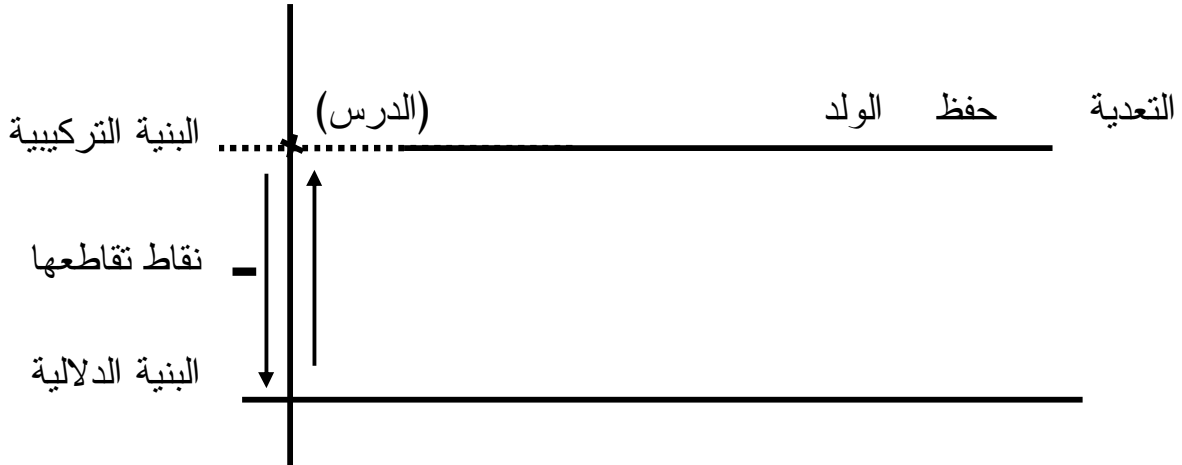

التكافؤ حفظ (الولد+ الدرس)

+

نلاحظ أن هناك تنظيما للركن الاسمي والركن الفعلي الذي يختلف في البنيتين؛ ففي التعدية نجد الركن الفعلي يتكون من (فعل + فاعل)= فعل + اسم و الركن الاسمي من (مفعول به) =اسم .

ونستخلص أن الركن الاسمي تابع للركن الفعلي،إذ أن الأول عمدة، والثاني فضلة (الصوت +المعجم) .

أما في التكافؤ فإن الركن الفعلي يتكون من فعل و هذا يعكس قوة الفعل وسيطرته على بقية العناصر. و الركن الاسمي فهو(فاعل+مفعول) وهما تابعان للفعل فالتصنيف الأول قائم على أساس المحلات الإعرابية من رفع ونصب،أما الثاني فقد قام على أساس طبيعة الكلمات أفعال وأسماء فهذه بمقابل تلك.

المطلب الثاني: المبني للمجهول وأحكامه عند لوسيان تنيار

ينظر تينيار إلى المبني للمعلوم و المبني للمجهول على أنهما خاصيتان مميزتان للتعدية، إذ لا يمكن تحويل التركيب إلى البناء المجهول إلا بوجود مفعولات.

وأفعال المطاوعة تمثل صيغة من صيغ المبني للمجهول،بل يفسرهما على أنهما صيغتان متداخلتان، إذ تمثل صيغة المطاوعة المبني للمعلوم و المبني للمجهول في آن واحد نحو:

- انتحر الرجل.
- انكسر الزجاج.

و يسمي العلاقة التي ينشئها الفعل علاقة انعكاسية،لأن الفعل استخدم لتفسير القيام بالحدث ووقوعه عليه، فالرجل قام بحدث الانتحار و تلقاه، فإن الحدث ينطلق منه ليقع عليه على النحو المبين في الشكل:

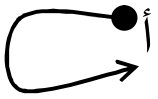

فالحدث هنا يشبه وقوع الصورة و انعكاسها على المرآة[1]. و هناك صورة علائقية أخرى يبرزها لنا المبني للمجهول يسميها تينيار التبادلية،أو البنـــاء المتبادل (La diathese réciproque) نحو: تشاجر عمرو خالد.

فكلاهما ساهما في الحدث؛ "حيث يقوم كل عنصر من العنصرين بدور إيجابي في الحركة، وبدور سلبي في حركة أخرى"[2].

و قد لخص تينيار الحالات الأربع للتعدية في الأشكال الآتية:

المبني للمعلـــوم: أ ←———— ب

المبني للمجهول: أ ————→ ب

---

1 - Eléments de syntaxe structurale, p242 .

2 - سعيد حسن بحيري،نظرية التبعية في التحليل النحوي،ص194 .

الانعكاسية : أ

التبادلية أ 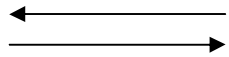 ب

يمثل اتجاه السهم، بنية المبني للمعلوم الذي يبدأ في العربية من المتعدي إلى واحد ليصل إلى المتعدي إلى ثلاثة مفاعيل، وهو مجال خصب للبناء المجهول، فإذا أردنا تقليص التعدي إلى اثنين أو إلى واحد عمدنا إلى تحويل البنية من المعلوم إلى المجهول. و لكن الأمر يختلف من الفرنسية إلى العربية؛ ففي الفرنسية يتم قلب التركيب وتغير مواضع المفاعلات عن طريق التقديم و التأخير.

ج (7) –Alfrad frappe Bernard

ج (8) –Bernard est frappé par Alfred

أما في العربية فإن ما يميز المبني للمجهول هو الصيغة، وحذف الفاعل،و نيابة المفعول الذي يأخذ رتبة العمدة بحمله لعلامة الرفع.

ج (9) ضرب زيد عمرا.

ج (10) ضُرِبَ زيد.

لقد تقدم المفعول به ليملأ الشغور التركيبي الذي خلفه حذف الفاعل، فالفرق بين التركيبين وصف بالعلامة التحليلية التي تمثل إضافة فعل مساعد(Etre) إلى المبني للمجهول وهذا في الفرنسية،أما في العربية فتوصف صيغة المبني للمجهول بالعلامة التركيبية[1].

لتنيار طرح في المتعدي إلى ثلاثة مفاعيل، الذي يبنى للمجهول بطريقتين هما:

أولا: ينتقل الفعل من المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول، ويتحول العنصر الأول أو الثاني عن رتبته ووظيفته، أماالعنصر الثالث لا يتعرض لأي تغيير[2] نحو:

Alfred donne le livre a charles

يصير:Le livre est donné par alfred

---

1 - نظرية التبعية في التحليل النحوي، ص195 .

2 - يقول تنيار:" Dans le premier cas le passage de l'actif au passif se fait entre le second actant,qui devient prime actant et le prime actant qui devient complement du passif ..."Elements de syntaxe structurale,p256.

ثانيا: ففي هذه الحالة يتم تغيير العنصر الأول و الثالث، أما الثاني فيظل محافظا على حالة المفعولية كما هو الحال في المثال الإنجليزي الذي ساقه تنيار.

البناء المعلوم:Alfred gives the Book to charles

البناء المجهول بتحول العنصر الثاني:

The book is given by Alfred to charles

البناء المجهول بتحول العنصر الثالث:

[1]Charles is given the book by alfred

و إذا طبقنا هذه القاعدة على التراكيب العربية فإننا نلاحظ اختلافا في انتقال المفاعلات إلى المبني للمجهول،إذ يخضع للترتيب لقربها من الفاعل،نحو:

المبني للمعلوم: أعلم فريد زيدا الخبر يقينا.

المبني للمجهول: أعلم(.....) زيد الخبر يقينا.

أعلم الخبر يقينا لزيد.

إذ نلحظ تحول المفعول الأول و الثاني، أما الثالث فبقي على حاله،لأنه لم يدخل في عناية المتكلم و اهتمامه[2].

و خلاصة القول:

إن المبني للمعلوم والمبني للمجهول خاصيتان تتصف بهما التعدية، وهما تسيران تركيبيا في اتجاه معاكس، الأول نحو التوسيع، والثاني نحو الاختصار.

يقترب المبني للمجهول من الأفعال الانعكاسية والتي تدعى في النحو العربي (أفعال المطاوعة) من حيث دلالتها على القصور، فهما بمثابة فعلين لازمين، فإذا قابلنا بين:

- ُضرِبَ اللص.
- و انكسر الزجاج.

1 - Eléments de syntaxe structurale,p 242.

2 - شرح الكافية،ج1،ص195 .

وجدنا أن كليهما أحادي التكافؤ وغير متعد تركيبيا، وإن كان هناك ما يفسر هذا القصور التركيبي دلاليا.

ثم إن تنيار جمع بين العلاقة الانعكاسية و العلاقة التبادلية من حيث إنهما تتضمنان مبنيا للمعلوم و مبنيا للمجهول مثل لهما بالمخطط الآتي:

1. الإنعكاسية= بناء معلوم + بناء مجهول (Successivement)
2. التبادليـــة= بناء معلوم + بناء مجهول (Simultanément)

فالإنعكاسية تتمثل في صيغتين:

صيغة اللزوم= مات الرجل = أ

و المطاوعة = انكسر الزجاج= ب

المبحث الرابع: تشومسكي والدرس النحوي

لا شك أن النظرية التوليدية التحويلية قد أخذت دفعا قويا من النتائج التي توصلت إليها النظرية السوسيرية، وبخاصة فيما يتعلق بأبعاد المنهج البنيوي وأصوله ثم إنها أفادت من سلبيات النظريات التي سبقتها نحو النظرية السلوكية لـــ بلومفيلد(Bloomfield) سنة 1939 م ثم المدرسة التوزيعية بزعامة هاريس (Harris) الذي كان أستاذا لتشومسكي.

و يذهب بعض الباحثين أن فكرة النظرية التوليدية التحويلية وردت في أعمال هاريس و تلقاها تلميذه وطورها[1].

المطلب الأول: مرحلة النظرية الكلاسيكية (الأبنية المركبة) .

1- نظرية الحالة النحوية و العلاقات الدلالية:

لقد عرفت هذه النظرية تطورا من قبل أتباع تشومسكي، وهي تطوير لنظريته الأصلية[2] ، إذ أنها تتبع العوامل و أثرها على المعمولات التي تتخذ حالات مختلفة مثل حالة الفاعلية(رفع) Nominative، و حالة المفعولية (النصب) Accusativeوحالة (الجر) Génitive . وهذا الأثر يكون في اللغات المعربة، أما غير المعربة نحو الفرنسية و الإنجليزية وغيرهما فإنه لا يظهر إلا في الضمائر وحروف الجر التي تقوم بأدوار نحوية ودلالية مثل التي تقوم بها الحالات الإعرابية في اللغات المعربة.

و صار الفعل ذا مركز هام في البنية العميقة في النظرية المطورة عند فيلمور، إذ أنه يعمل في الحالات النحوية سواء كانت هذه الحالات اختيارية أو إجبارية أو هما معا.

وينعكس أثر هذا العمل في البنية السطحية على شكل كلمات تبين وظيفة الفاعل والمفعول به[3].

---

1 – خليل عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، عالم المعرفة، المملكة العربية السعودية،ط1 ،1404 هـــ– 1984 م، ص55 .

2 – جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995م. ص169 .

3 - المرجع نفسه،ص170-171 .

وإذا كانت هذه النظرية لم تلق استحسانا من قبل الباحثين في المجال التوليدي،فإنها شكلت لدى تشومسكي باعثا قويا على إعادة النظر في العلاقات الدلالية [1].

المطلب الثاني: القواعد الأساسية لانتاج الجمل عند تشومسكي.

وضع تشومسكي عبر مراحل نظريته ثلاثة نماذج لدراسة تركيب الجمل وتحليلها ورصد المقولات ذات العلاقة المباشرة أو غير المباشرة بالتركيب و إنتاج الجمل. هي:

أ- النموذج الأول: وسماه القواعد المحدودة الحالات أو"finite state language"

لماذا وصف هذا النموذج بالقواعد المحدودة؟ هل يعني هذا أنه لا يصلح تطبيقه على أكثر من لغة أم أن تطبيقه على لغة واحدة يعد محدودا في ذاته؟

يتصور تشومسكي- من خلال هذا النموذج- أن انتاج الجمل يمر بمراحل من حالة إلى أخرى، و هذه الحالة شبيهة بآلة ذات مراحل محدودة، حيث تنتج لنا كلمة في كل حالة. وعند الحالة الأخيرة، يكون قد تولد لدينا سلسلة من الكلمات المنتجة نطلق عليها جملة. و فكرة الاختيار أو انتقاء العناصر المشكلة للجملة واردة في هذا النموذج، إذ أن اختيار العنصر الأول يتحكم في مجموع الاختيارات اللاحقة. ولنضرب مثالا على ذلك الذي ساقه جون ليونز [2].

ج(1) .this man has brought some bread -

ثم إن استبدال العنصر الاختياري الأول(this) بعنصر آخر (that)

في الجملة (2) that man has brought some bread-

لا يؤثر على بنية الجملة و لا دلالتها، وهي تساوي في مقبوليتها الجملة (1) و إذا طبقنا هذه القواعد على اللغة العربية التي تسير في تكوين تركيبها من اليمين إلى اليسار، فإن العنصر المختار الذي يتصدر الجملة يفتح المجال أمام العناصر المتعاقبة بطريقة اختيارية أو إجبارية فإذا قلنا مثلا: الطالب يعد بحثه في الدكتوراه. ثم أردنا

---

1 - جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص176.

2 - المرجع نفسه، ص103-104.

تغيير هذه الجملة من حالة إفراد إلى حالة تثنية أو جمع، فإننا نكون أمام تغييرات إجبارية يتحكم في توجيهها العنصر الأول ذو الطبيعة الاختيارية. إذ تصبح وضعية العناصر كما يلي:

1. الطالبان يعدان بحثيهما في الدكتوراه.
2. الطلبة يعدون بحوثهم في الدكتوراه.

توصل التطبيق النحوي لهذه القواعد إلى أن توليد الجمل محدود، مهما بلغت درجة امتدادها و لذا فإن تشومسكي أقر بعدم كفاية هذا النموذج لوصف اللغات البشرية[1].

ب- قواعد تركيب أركان الجملة:

و هو النموذج الذاتي وضعه تشومسكي بديلا للنموذج السابق الذي أثبت عدم نجاعته؛ إذ انصرف إلى تحليل الجملة إلى المكونات المجردة التي تشترك فيها كثير من اللغات، و اعتمد فكرة البلومفيلديين في التحليل إلى المكونات المباشرة مطبقا المنهج الرياضي و المنطق الرمزي. من أجل الحصول على عدد لا متناهي من الجمل.

لقد استعار تشومسكي من الرياضيات المعادلات التي يجتمع فيها الضرب و الجمع مع اعتماد الأقواس(Braketing) . فإذا كانت لدينا المعادلة الآتية: ع(س+ص) فإننا نفهم أن عملية الجمع تتم قبل عملية الضرب. أما إذا كانت المعادلة على الصورة الآتية ع×س+ص، فإن نزع الأقواس يفرض علينا البدء بعملية الضرب ثم الجمع وهذه المعادلة شبيهة بالمعادلة من الصـــورة : ع+(س×ص) .

و بناء على هذه المعادلات ذات الصور المختلفة فإن النتائج المحصل عليها مختلفة أيضا. واذا افترضنا أن: ع=2 ، وس=3 ، وص=5 .

فإن المعادلة ع×(س+ص)

= 2 (3 +5)

= 2 (8) = 16

---

1 - structures syntaxique traduit d'anglais par : Michel Braudeau edition de seuil , paris 1969. p :23-26

و نظرية تشومسكي اللغوية،ص110 – وينظر أحمد مومن، اللسانيات – النشأة و التطور ديوان المطبوعات الجامعية– الجزائر2002 ، ص218 .

أما المعادلة الثانية: ع×س+ص

2× 3 +5 =6+5= 11 .[1]

إن الفكرة المطروحة هنا هي الجمل الغامضة نحو:

طلب الأب من ابنه أن يغادر المكان، إذ أن احتمالات المعنى في هذه الجملة مفتوحة؛ فهي كما يلي:

طلب الأب من ابنه (أن يغادر الابن المكان) .

طلب الأب من ابنه (أن يغادر الأب المكان) و هنا طلب بمعنى أخبر.

فالأنموذج الركني ذو الطبيعة التوليدية لا يستطيع تفسير الاحتمالات الممكنة لجملة ما، ثم إنه لا يتخطى وصف الجمل إلى الاقرار بوجود المستوى العميق و المستوى السطحي[2].و لو افترضنا عدة معايير تركيبية لإزالة اللبس، منها:

- معيار النظر إلى رتبة العناصر داخل التركيب، وعود الضمير إلى الأقرب منه، إذ لا يتخطى إحالة الضمير عنصر (الابن) ليعود على (الأب) .
- **المعيار الثاني** : نوع الفعل (طلب) الذي ورد في صيغة أمر، فالأب يأمر ابنه لا العكس.
- **المعيار الثالث:** مراعاة السياق، فهو مهم في جملة نحو: محطة بيروت الكبرى؛ إذ أنه من المسلم به أن المقصود بالصفة (كبرى) هي المحطة لا بيروت؛ لأن من البديهي أن بيروت كبيرة، ولا تحتاج للوصف، في حين هناك محطات كثيرة تفترق عن بعضها في صفة الكبر.

ولعل قصور هذه القواعد يتضح أيضا في توليد جمل من التركيب المبني للمجهول (passive form) مثلما حدد ذلك جون ليونز.

فالعلاقة بين الجملة المبنية للمعلوم، والجملة المبنية للمجهول لا تفسرها قواعد تركيب أركان الجملة، ولذا نحتاج إلى قواعد تحويلية للقيام بذلك.

فالجملة الإنجليزية the man hit the ball

---

1 – نظرية تشومسكي اللغوية،ص117-118 .

2– ميشال زكرياء، الألسنية التوليدية و التحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص134 .

تولدت عنها الجملة the Ball was hit by the man المحولة عن البنية الأصلية مع تغيير مواضع العناصر المتآلفة، بتقديم عنصر التكملة (the Ball) على ركن الإسناد the man hit .

فهذا النموذج غير صالح للتمييز بين الجمل المستقيمة و الجمل المستحيلة دلاليا. وأن التحويلات فيه غير متناسقة و غير معكوسة[1].

إن الاتجاه الذي اتبعه تشومسكي في وصف اللغة ينحو نحو التجريدية و هذا يزيد من صعوبة التعامل مع النماذج التركيبية في النظرية التوليدية التحويلية، فالمواضع الوظيفية و الدلالية ذات أساس معجمي بالدرجة الأولى. " وليست مواضع لمقولات دلالية قابلة للتجسيد في مقولات تصنيفية"[2].

فالموضع في المبني للمجهول يخضع لفقدان خصائص بخروجه من موضع الوظيفة، ويكتسب خصائص أخرى لقيامه بموضع وظيفة أخرى.

و انطلاقا من هذا التغيير الوظيفي فإن المتحكم الرئيس في دلالة البنية هو الوجه الإعرابي لا الأساس المعجمي[3].

اختبر صلاح الدين الشريف النموذج التشومسكي في البنية الشرطية وتبين له عدم صلاحيته للتمثيل من عدة أوجه:

1. إنه لا يراعي المتكلم و درجة وعيه بالبنية الدلالية للجمل الشرطية.
2. عدم صلاحية البنية العميقة لتقبل الدلالة الشرطية لاتجاهها إلى التجريد و أن البنية السطحية تفوق درجة تجريدها البنية العميقة.
3. أثبتت التطبيقات أن البنية العميقة غير خالية من المعجم، وأن العلاقات بين الجمل يتجاوز تحقق الأدوار المعجمية لرؤوس الأبنية في الوظائف الموروثة

---

1 – بريجيته بارتشت ، مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، ترجمة و تعليق سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار– مصر،ط1 ،1425 هـ –2004 م ، ص275 .

2– صلاح الدين الشريف، الشرط والإنشاء النحوي للكون،ج1 ، ص141 .

3 - المرجع نفسه،ج1 ،ص139 .

من الأساس المقولي التركيبي[1] ثم إن البنية الشرطية لا يمكن تفسيرها دلاليا على أساس الاسقاطات المعجمية[2].

جـ - الأنموذج التحويلي:

لقد ثبت لدى تشومسكي وأتباعه أن النموذجين السابقين: قواعد محدودة الحالات، وقواعد تركيب الجملة لا يحققان أغراض الوصف اللغوي، فعمد إلى وضع نموذج ثالث، هو النموذج التحويلي الذي يرى فيه دقة أكثر، ويعمل على التنسيق بين النموذجين السابقين، و له إمكانية استدراك النقائص[3].

و يتلخص الجديد في هذا النموذج في إضافة عنصر الزمن و الصيغة، (قواعد الإفراد و الجمع) و الأفعال المساعدة.

و قد جمع النموذج التحويلي بين القواعد الاختيارية و القواعد الإجبارية؛ إذ تنحصر مهمة القواعد الاختيارية في حرية تطبيقها أو عدم تطبيقها نحو: الاستفهام، والنفي، وقواعد المبني للمجهول، أما القواعد الإجبارية فإنها من أساسيات تكوين الجملة نحو: الزمن و الصيغة[4].و يمكن تبين التحويلات التي تتم داخل التركيب وفق ما يلي:

فهم التلميذ الدرس– نحولها إلى:"الدرس فهمه الولد".

فإنها تمر بقيود يتضح فيها الزمن و الصيغة.

⟸ (فهم +زمن تام) + (ال+ تلميذ) +(ال + درس)

⟸(ال +درس) + (فهم+ زمن تام) +ضمير (ــه) +(ال + تلميذ) .

⟸(ال+درس) + (فهم+ زمن تام+ضمير) +(ال + تلميذ) .

⟸(ال +درس) + (فهم+ ضمير) +(ال + تلميذ).

⟸(ال +درس) + (فهم+ ــه) +(ال + تلميذ) .

هذه مجمل ما مرت به القواعد النحوية في النظرية الكلاسيكية (الأبنية التركيبية) .

المطلب الثالث: النظرية النموذجية.

---

1 – الشرط و الإنشاء النحوي للكون،ج1 ،ص136-137 .

2 – المرجع نفسه،ج1 ، ص139-141.

3 - ينظر: N.chomsky,structures,syntaxiques p57

4 - 132 - Ibid ,p129 . و ينظر جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص 136-137 .

في هذه المرحلة أدخل تشومسكي بعض التمثيلات الدلالية المناسبة، حيث أصبحت النظرية النموذجية تتكون من ثلاث مكونات رئيسة هي:

1. المكون التركيبي.
2. المكون الدلالي.
3. المكون الفونولوجي.

يبين تشومسكي أدوار هذه المكونات يقول:" القواعد التوليدية عبارة عن نظام من القواعد، باستطاعته توليد عدد لا نهائي من الأبنية، وأن هذا النظام بإمكانه أن يحلل وفق ثلاث مكونات أساسية، هي المكون التركيبي و المكون الدلالي، و المكون الفونولوجي"[1].

و هذه المكونات تقوم على وصف الجملة وتفسير العلاقات التي بين عناصرها.

1- <u>المكون التركيبي:</u> أعطى تشومسكي دورا كبيرا لهذا المكون، لأنه المكون التوليدي الوحيد، وفصله عن المكونين الآخرين لأنهما تفسيريان.

فالمكون التركيبي يعمل على مراقبة توليد الجملة وبيان تركيبها المستتر و الظاهر. فهو يتكون من: مكون أساس ومكون تحويلي مثلما بينه تشومسكي مع التركيز على مرحلة التأسيس التركيبي، يقول:" يتكون المركب التركيبي من مكون أساسي، ومكون تحويلي، والمكون الأساسي يتألف من مكون تفريعي، ويتمثل دوره في توليد التراكيب المستترة، ثم يقدمها للمكون الدلالي، ليعطي تفسيره الدلالي. و يتحول هذا التركيب عن طريق القواعد التحويلية إلى تركيب ظاهر ويقدمها للمكون الفونولوجي، ليعطي تفسيره الصوتي، فترتبط التفسيرات الدلالية عن طريق القواعد التي تعود للمكون التركيبي"[2].

<u>2- المكون التحويلي:</u> يتلخص دور المكون التحويلي مثلما بينه تشومسكي في كتابه"ملامح النظرية التركيبية" - في اشتقاق التركيب المستتر وتحويله إلى تركيب ظاهر،أي إبراز ما تتضمنه البنية العميقة، وحصره في البنية السطحية، ويمكن توضيح أشكال التحويل فيما يلي:

---

1 - N.chomsky : Aspects de la theorie syntaxi que, traduit de l'anglait par, jean claude Milner Edition du seuil, paris ,1971.,p31.

2 -N.chomsky : Aspects de la theorie syntaxique, p139.

1- الترتيب: و يقوم هذا العنصر على التقديم و التأخير، إذ يتم تغيير نمط الجملة، و ينقل معناها إلى معنى جديد،يرتبط بالمعنى الأول ربطا واضحا نحو:

- قدم الرجل من الحج.
- الرجل قدم من الحج.

2- التوسيع(Expansion): و ذلك بزيادة ركن على أركان الجملة أو على الركن الإسنادي نحو: علمت شيئا ما، تصبح: علمت أن الأب سيقول شيئا ما. ويمكن توسيع شيئا" إلى ركن آخر و نلحظ أن هذا العنصر يفسر فكرة الجمل المدرجة في جمل أخرى[1].

3- الحذف[2]. ويتم الحذف بطرق مختلفة وأشهرها، البناء للمجهول حيث يتقلص عناصر الجملة من ثلاثة عناصر إلى عنصرين نحو:

قبض الشرطي على اللص ⟵ فتصير بقواعد التحويل و الحذف" **قبض اللص**".

و الذي يظهره التركيب هو تحويل وظيفة المفعول إلى وظيفة نائب الفاعل، إنه يقترب من الفعل ليدخل دائرة الإسناد، فيتصف بالحدث. و يحمله وكأنه هو الفاعل حقا.

والواقع إن فكرتي التوسع و الحذف تعكسان بعدا تداوليا وآخر تركيبيا دلاليا؛ فالتركيب يتوسع أو يتقلص برغبة من المتكلم أو السامع أو كلاهما مع مراعاة ظروف السياق. فالحديث مربوط بهذه العناصر الثلاثة ولا يخرج عنها.

4- الإبدال: تقوم قاعدة التحويل بتغيير موقع ركن من أركان الجملة على النحو الآتي: أ+ب ⟵ ب+أ[3].

و تمثل له بالجملتين الآتيتين:

1- ميشال زكرياء، الألسنية التوليدية و التحويلية و قواعد اللغة العربية، ص155 .

2 - المرجع نفسه،ص154 و ينظر:عبد الراجحي ، النحو العــربي و الدرس الحديث، ص149 .

3 - ميشال زكرياء، الألسنية التوليدية و التحويلية و قواعد اللغة العربية ، ص154 وعبده الراجحي ، النحو العــربي و الدرس الحديث، ص149 .

1. زار الوفد المواقع الأثرية الأسبوع الماضي.

2. الأسبوع الماضي، زار الوفد المواقع الأثرية.

لقد تم نقل ركن التكملة (الأسبوع الماضي) إلى رأس الجملة في (2) بصورة اختيارية.

5- الزيادة: ويحدث هذا بزيادة ضمير أو أي عنصر يشيرإلى نقل ركن إلى موقع متقدم في الجملة، نحو: أكل الرجل التفاحة، تصبح ←—— التفاحة أكلها الرجل[1].

و تجدر الإشارة إلى أن هذه القواعد قريبة في خصائصها التركيبية من مثيلاتها في العربية، وهي ظواهر مشتركة في اللغات الإنسانية.

ثم إن ما جاء به المنهج الوصفي في النحو العربي وما اقترحه التحويليون في النظرية اللسانية الحديثة يجمعه قاسم مشترك بين المنهجين هو الأساس العقلي[2].

دور المكون الدلالي في النظرية النموذجية الموسعة:

بعدما كان دور المكون الدلالي مغيبا في المرحلة النموذجية، بل كان دوره يقتصر على تفسير التركيب المستتر دلاليا، توسع دوره إلى تفسير كثير من العلاقات النحوية الظاهرة. ومجمل ما تنص عليه هذه النظرية هو أن التركيب الظاهر يقوم بدور مهم في إعطاء التفسير الدلالي للجملة، في حين ينحصر دور التركيب المستتر في توضيح المعنى وتحديده عن طريق العلاقات المدارية"les réltions thématiques " القائمة بين الفعل و الأسماء المحيطة به. فتؤول الدلالة التركيبية[3].

و يعترف تشومسكي بالتغيير الذي حدث في هذه النظرية إضافة إلى التفسيرات الدلالية والتمثيلات المدارية، فإن العلاقات التي تربط بين عناصر التركيب تحدد من خلال الموقعية و الإحالة[4].و يمكن التمثيل لهذه القواعد فيما يلي:

(1) – حفظ الطالبُ القرآنَ. (3) – القرآنَ حفظه الطالبُ.

---

1 – الألسنية التوليدية والتحويلية، ص156 ، وعبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص152.

2 – النحو العربي والدرس الحديث، ص143 .

3 - N.chomsky, Réfléxions sur le langage , traduit par judith Milner, Librairie francais Maspero . Paris 1977,p101-102.

4 - N,chomsky Question de semantique, traduction de l'anglais par Bernard cerquiglini, Edition de seuil, paris, 1975.,p7.9.63.65.ينظر

(2) – الطالبُ حفظ القرآنَ. (4)– حفظَ القرآنَ الطالبُ.

إن العلاقات الموقعية بين عناصر الجملة تعمل بالتوازي مع الإعراب في تحديد معنى الجملة. لا سيما في ج(4) حيث تقدم المفعول على الفاعل. أما الإحالة الرجعية فهي ممثلة في ج(3)، حيث عاد الضمير على متقدم لفظاو رتبة معا[1].

و من أهم المفاهيم التي طرحتها النظرية الموسعة، مفهوم الأثر(trace) إذ يعرفه تشومسكي بقوله:" إنه عنصر معدوم من الوجهة الصوتية"[2].

يترك العنصر المحذوف أو المحول أثرا في البنية السطحية تدل على مكانه، ويمكن وصف هذا الأثر الدلالي في نحو:

رأيت زيدا– من رأيت(أ) ؟

أو نبين العلاقات المدارية بين الفعل و الأسماء بالمثال الذي ساقه جون سيرل و هو كالآتي:

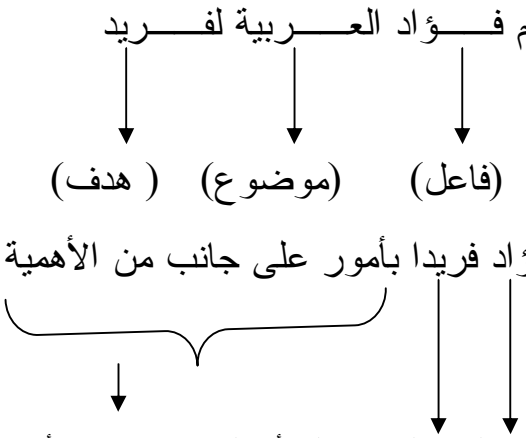

1 – تنص القاعدة في النحو العربي على أن الضمير لا يجوز أن يعود على متأخر رتبة. و لتحقيق مثل هذا وجب نقل العنصر المحال إليه من رتبة متأخرة ليكون في رأس الجملة.

2 – جون سيرل، تشومسكي والثورة اللغوية، مقال بمجلة الفكر العربي– العدد:8-9 –1979م ص141 .

(فاعل) (هدف) (موضوع)

يتضح من خلال الأبنية الثلاثة أن الهدف مرتبط رأسا بالفعل، ويمكن تحديد الهدف بتحويل الجملة من الإثبات إلى الاستفهام، فنقول لمن علم فؤاد العربية؟ ومن كلف فؤاد بأمور على جانب من الأهمية؟ و بم حث فؤاد فريدا؟.

و الذي نخلص إليه، هو أن الفعل بؤرة الحدث في الجملة، و أن الأسماء المحيطة به تكون معه شبكة من العلاقات المختلفة، كل من موقعه وحسب وظيفته وحتى نقرب الصورة، نأتي بالمخطط الآتي:

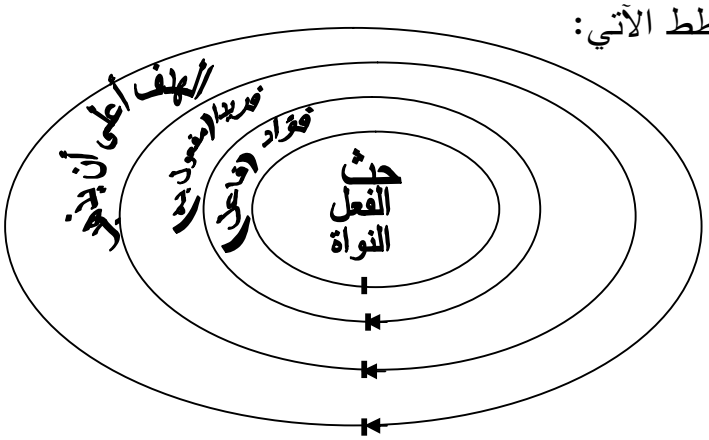

تمثيل العلاقات المدارية (les rélations thématiques)

فكل عنصر يكون علاقة وظيفية كاملة، مثلنا لها بالدائرة.

" فقد أمكن بفضل نظرية الاثار تعيين العلاقة(فعل) هدف بالبنية السطحية فقط، و ذلك بالضبط، لأنه أمكن الاحتفاظ بالنسق العميق أو القدر المتمثل في الجملة الأولى قائما في البنية السطحية المتمثلة في الجملة الثانية عن طريق الأثر(أ) الذي يرتبط بما يشبه الخيط غير المرئي بالعنصر الذي حل الأثر محله"[1] .

ففكرة الأثر بهذا الطرح تقترب من نظرية العامل عند النحاة العرب، إذ تعمل على نقل التفسير الدلالي من البنية العميقة إلى البنية السطحية. فهي "نوع من الذاكرة الحافظة للبنية العميقة في البنية السطحية"[2] .

و هي بهذا البعد قللت من الحاجة إلى كثرة التحويلات في النحو، و تم تقليص المكون التحويلي في قاعدة واحدة: أنقل أ. حيث أ مقولة كبرى[3].إضافة إلى هذه التلخيصات، فإن العلاقات المحورية صارت تحدد ابتداء من البنية السطحية.

لقد اتسعت وظيفة البنية السطحية وصارت "بشكل مناسب يكفي لإدراك دلالة الجملة ومعانيها عن طريق تطبيق القواعد المفسرة"[4].

تقترح هذه النظرية نموذجا جديدا لدراسة العلاقات على المستويين الدلالي و الصوتي يتضح في التمثيل الآتي[5].

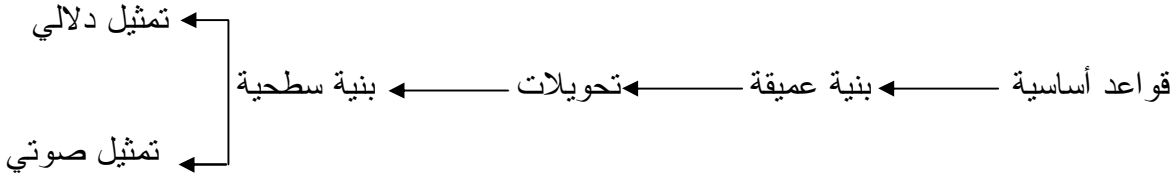

1 - حماسة عبد اللطيف، النحو و الدلالة – مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي ، دار غريب للطباعة والنشر و التوزيع، القاهرة –2006 م، هامش ص139 .

2 - المرجع نفسه، الموضع نفسه.

3 - اللسانيات و اللغة العربية،ص74 .

4 - جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية،ص199 .

5 - جون سيرل، تشومسكي والثورة اللغوية،ص142 .

يتأسس هذا النموذج على إخضاع الأحكام النحوية و تفسيرها، وهي الظروف، والروابط و النفي، و الابتداء، و العلاقات المحورية[1].

المطلب الرابع:علاقة التركيب بالدلالة في الاتجاه التوليدي التحويلي

تطرح قضية الدلالة في النظرية التوليدية التحويلية، وذلك لمعرفة دورها، وموقعها من الدراسة؛ إذ من المفترض أن تكون لها أدوارا وظيفية تؤديها إلى جانب التركيب. ولكن ما علاقتها بالتركيب؟ و هل يمكن الحديث عن تركيب و دلالة، أم تركيب دلالي؟.

تتلخص منوالات تشومسكي بالنظر إلى العلاقة بين التركيب و الدلالة في منوالين أساسيين هما:

1- منوال الأبنية النحوية: ظهر هذا المنوال سنة1957 م، و تتركز أسسه في توليد الجملة، وعناصر النحو الأساسية، ويقوم على مايلي:

أ- تعريف النحو: يعرف تشومسكي النحو بأنه :"الدراسة التي تعالج البنية التركيبية و التي تعرف في معناها الواسع بمقابلتها للدلالة في معناها الضيق بمقابلتها للصوتمية و علم الصرف"[2].

فالنحو مستقل عن الدلالة، وليس جزءا منها، بل هي مقابلة له مثلما هو مقابل لعلم الصرف.

والواضح أن فصل هذين المستويين يجعل الدلالة خارجة عن المجال التركيبي، بحيث تعكس استقلالية التركيب كفايته في تحليل المعطيات اللسانية في النظرية.

" فالبنية التركيبية بنية شكلانية تشتغل مستقلة عن المعطيات الدلالية، وأن نظام القواعد تكونه في مستوى الأساس مكونات تركيبية تكفي لتوليد الجمل"[3].

و يبدو أن تشومسكي مدفوع بقوة عناصر النظرية النموذجية، ووضعيتها إلى التصريح

---

1 - **ينظر**. : N.chomsky , Essais sur la forme et le sens, Edition, de seuil, paris.,p 245

2 - chomsky structures syntaxiques, p7.

3 - فتحي واهمي، الدلالة ومنزلتها في اللسانيات الحديثة "دي سوسير وبلومفيلد أنموذجا " رسالة ماجستير (مخطوط) إشراف: محمد الشاوش، كلية الآداب جامعة منوبة للفنون والإنسانيات،تونس، 1999م، ص 73 .

قائلا:"إننا مجبرون على القول بأن النحو مستقل عن الدلالة"[1]

فالفصل بين التركيب و الدلالة يقتضي منا تحديد مفهوم النحوية التي لا ترتبط بالمعنى، فهي في نظره "لا تختزل في مفهوم ذو دلالة"[2].

فالجملة إذا كانت خاضعة لقواعد النحو توصف بأنها نحوية، حتى وإن كانت عديمة المعنى نحو: الجبل يحمل رسالة إلى الحاكم. و هي في نظر تشومسكي جملة أصولية إذ لا يجب "أن نخلط بين مفهوم الأصولية و بين دلالة الجملة"[3].

ولعل هذا الطرح يقودنا إلى وضع افتراض بأن لدى تشومسكي نوعين من القواعد قواعد تركيبية و قواعد دلالية.

و يتحدد مفهوم الأصولية بالنظر إلى الكفاية اللغوية، في حين تكون المقبولية مرتبطة بالأداء الكلامي "فالأصولية هي عامل من بين عوامل متعددة تترابط لتحديد قبول الجمل"[4] .

ب- عدم كفاية المعطيات الدلالية للوصف النحوي:

يستمر تشومسكي في الدفاع عن طرحه المتمثل في فصل الدلالة عن التركيب، لأن الدلالة- في نظره – غير كافية للوصف النحوي، فعدم التطابق بين المبني للمعلوم و المبني للمجهول يدفعنا إلى إبعاد المعنى باعتباره أساسا للوصف النحوي[5].

---

1 - Chomsky , structures syntaxiques p19.

2 - Ibid,p17.

3 - ميشال زكرياء، الألسنية التوليدية والتحويلية و قواعد اللغة العربية(الجملة البسيطة) ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع – بيروت – لبنان، ط1 ،1403 هـ - 1983 م ، ص11 .
وقد أشار سيبويه إلى كلام قريب من هذا، وصنف الجمل وفق الاستقامة و الإحالة.
و هي على خمسة أنواع: مستقيم حسن، و محال،و مستقيم كذب، ومستقيم قبيح، ومحال كذب.
وأمثلتها مرتبة حسب الأنواع:
1- أتيتك أمس وسآتيك غدا.
2- أتيتك غدا و سآتيك أمس.
3- حملت الجبل، وشربت ماء البحر.
4- قد زيدا رأيت .
5- سوف أشرب ماء البحر أمس – الكتاب،ج1،ص25-26.

4 - chomsky,1965,p11

5 - chomsky, structure syntaxique,p 110.

ولتحقيق الكفاية في دراسة أي جملة، يجب الانطلاق من الأساس التركيبي الذي يقود إلى المعنى، وهو يعمل بصورة مستقلة عن المكونين، الدلالي و الفونولوجي وهما مكونان تفسيريان، "فالمكون الدلالي يضفي على البنى التركيبية التمثيلات الدلالية"[1].

ثم إن الأدوار الدلالية هنا تقوم على دراسة الأصوات اللغوية الموجودة في البنية السطحية، و أن المسؤول عن التفسير الدلالي للجمل هو البنية العميقة .

2- منوال النظرية النموذجية :

يبدو أن تراجع تشومسكي بإقحام المكون الدلالي، تراجع عن الطروحات السابقة.

إلا أن الواقع يعكس خلاف ذلك، فتشومسكي عد المكون الدلالي مكونا تأويليا يقع خارج القواعد، مضافا إليه قواعد الإسقاط، حيث مثلت هذه القواعد أداة ربط أساسية بين التركيب و الدلالة. فالمنوال هنا ذو أساس تركيبي، حيث إنه يفترض أن العلاقة بين الصوت و المعنى يعقدها التركيب. فالتصور قائم على أساس بنية شكلية مجردة تتحكم في الأبنية الصوتية والمعجمية و الدلالية.

عمل صلاح الدين الشريف على سبر أهداف النظرية لا سيما في فصل التركيب عن الدلالة، وقام بتوجيه الفرضية المطروحة من طرف تشومكي و تفسيرها تفسيرا لا يقلل من شأن الدلالة، بحيث يرى أن البنية العميقة تمثل "مستوى تجريديا يصيبه نوع واحد من التحويل يسمى بنقل α فتنتج عنه بنية سطحية مجردة (بنية س) تؤول تأويلين مختلفين، تأويلا يؤدي إلى بنية سطحية مجردة ذات صورة صوتية (FP) و تأويلا يؤدي إلى دلالة البنية السطحية المجردة و تسمى الصورة المنطقية (FL)"[2].

إذ ينص هذا النموذج على أن التحويلات التي تمت في البنية السطحية لا تغير من الدلالة و قد أثبت لاكوف أن هذه البنية تحتوي على دلالات لا توجد في البنية العميقة[3].

---

1 - ميشال زكرياء، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1 ،1404هـ ـ1984م، ص112.

2 - الشرط والإنشاء النحوي للكون، ج1، ص132.

3 - ينظر المرجع نفسه، الموضع نفسه.

المطلب الخامس: نظرية سَ أو نظرية التحكم الإعرابي.

يتحقق نجاح هذه النظرية بتوفر ثلاثة شروط حددها تشومكسي وهي :

1. شرط خاص بالمقولات العاملة و كيفية اختيارها.
2. شرط يرتبط بضبط الحدود القابلة للعمل.
3. شرط علاقة العمل.

فهذه الشروط الثلاثة تعيدنا إلى نظرية العامل في النحو العربي وارتباطها بفكرة الأثر و المؤثر والمتأثر.

إلا أن هذه الشروط تبقى ناقصة الوصف و الفاعلية إذا لم ترتبط بفكرة الأثر الذي نبه عليه النحاة القدماء [1] . ثم إن شرط الاختيار الذي وضعه تشومسكي في المقولات العاملية يصعب تحديده، إذ لم تسلم الصيغ الممثلة لهذا المفهوم من المراجعة المتكررة[2] والشرط الثالث يناسب اللغات التركيبية ذات الرتبة المحفوظة دون غيرها، ومن ثم فإن العلاقة العاملية ليست لها أبعادا، غير أنها تمثل علاقة الجوار بين المواضع[1] الوظيفية.

و من ثم فإن نظرية العامل تقوم على جملة من الفرضيات الهامة التي وزعها تشومسكي على مبادئ الربط، والإعراب، والعامل، والإحالة.

---

[1] - ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص137 .

2 - محمد الأوزاعي، الوسائط اللغوية، ج2، ص713.

الفرضية الأولى: إن العامل في المفعول هو الفعل، وأن العامل في الفاعل هوالصرفة[1].

الفرضية الثانية: تتأسس فكرة الربط الإحالي على مفهوم العمل الذي يرتبط بالشروط الآتية:

1. كل عائد يجب أن يربط في مقولته العاملية.
2. كل ضمير يجب أن يكون حرا في مقولته العاملية.
3. كل تعبير محيل حر[2].

الفرضية الثالثة: إسناد الإعراب، يشكل علاقتين تركيبيتين هما:

علاقة الضم.
علاقة العمل الفرعية .

فالاستلزام المتعلق بالفرضية الثالثة يستوجب أن الضم بمقابل العمل؛ أي العمل وعدم العمل. وهذه الفكرة مطروحة في نظرية النحو العربي.

فالعوامل عند تشومسكي نوعان : الفعل والحرف، والعامل يتحكم في التركيب، ويعمل على تنظيم الوظائف التي يشغلها الاسم خاصة بعد أن يأخـــذ علامة إعرابية تميـــز وظيفته.

و الشيء الذي نقف عليه هنا أن تشومسكي ركز على وظيفة العامل التركيبية وهي الربط، إذ يرتكز نموذج الربط عنده على: العوائد، والضمائر و الأسماء و المتغيرات و الإحالات التي تشير إليها الضمائر[3] .

يتجلى مفهوم الربط العاملي في ضوء مفهوم العاملية في العلاقة التركيبية بين عناصر المركب الفعلي في الفعل المتعدي فيما يلي: حيث نرمز للعنصر بـــ(ص) .

---

1 - مصطلح ارتضاه الفاسي الفهري بديلا أو مقابلا لمصطلح (Fléxion) أو (infléxion) ، ينظر: اللسانيات واللغة العربية ص344.

2 - اللسانيات واللغة العربية ، ص343.

3 - Théorie du gouvernement et du liage, (les conférence de pise) Edition du seuil , janvier, 1987,p24.

و ينظر اللسانيات و اللغة العربية، ص342 – 343 و البناء الموازي، نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، دار توبقال للنشر– الدار البيضاء – المغرب، ط1، 1990 م، ص29 .

1. لا تتوسع البنية الإسنادية في ربطها بالعنصر(ص3) إلا إذا كان العنصران المسند والمسند إليه (ص2+ ص3) متلازمين.
2. لا يتحكم (**ص3**) مكونيا في (**ص1**) إلا إذا كان (**ص3**) في حالة يحددها (**ص2**) .
3. (**ص1**) حر في مقولته العاملية إذا كانت علاقة الربط مع (ص2) غير موجودة .
4. إذا كان العنصر (**ص1**) مرتبطا إعرابيا بـ(**ص3**) فإن (**ص1**) في وضعية ربط مع (**ص3**) و هذه الوضعية يحددها (**ص2**).
5. إذا كان (**ص1**) مرتبطا بـ (**ص3**) فإن (**ص2**) مرتبط مكونيا بـ **(ص3)** .

فما ميز نظام الربط العاملي هو ثنائية العلاقة بين العنصرين أو البنيتين ثم إن العنصر(**ص2**) يمثل الوسيط العاملي بين طرفي الإسناد و التركيب الموسع، أي الذي تعدى إليه العنصر (**ص1**) .

فالتحكم في توجيه العناصر شكل نظاما هاما في نظرية العامل، بل هو نواة النظريات التشومسكية، لأن الهدف هو تحكم العوامل في المعمولات. نحو: إن الرجل قائم، حيث إن العنصر العاملي (إن) تحكم في توجيه إعراب العنصر المجاور له (الرجل) ثم تعدى تأثيره إلى الخبر.

أما إذا قلنا: مررت بزيد، نلحظ أن الرابط بين الركن الفعلي و الركن الاسمي حرف الجر (الباء) إذ أنها تتحكم في الاسم وتتحكم في الفعل، إلا أن الفعل لا يتحكم في الاسم وهو ما نصطلح عليه بالتحكم الوسيط.

و المستخلص هنا أن التحكم الإعرابي يتحكم فيه التركيب، أو ترتيب العناصر.

إذ أن الرتبة هنا مثلت عاملا قويا على اقتراب العامل من معموله لا سيما في نظام الجملة (SVO) [1]. نحو: الرجل أكل تفاحة؛ إذ يشكل بنية الجملة مفهوما عامليا للربط نمثله بالمخطط الآتي:

---

1 - هذا الترتيب النموذجي للغة الانجليزية عند تشومسكي، ويرى أنه صالحة لجميع اللغات. ينظر:

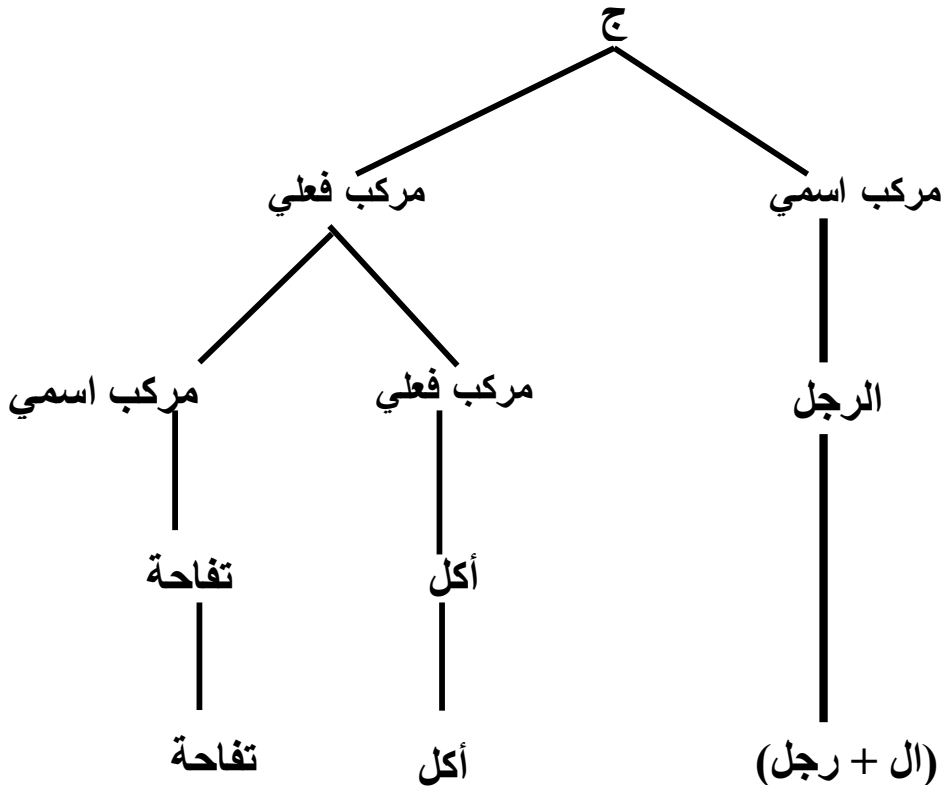

فالعمل ربط بين (ص2) و (ص3) ثم عاد لضم(ص1) إذ يبدو للباحث أنه عنصر متطرف تطرفا مؤقتا.

2 – المكون الإعرابي عند تشومسكي:

لاحظ تشومسكي-أن الإعراب منفصل عن المعجم، فهو لا يرتبط به ارتباطا تكوينيا، إنه يشرف على العناصر المعجمية وخصائصها التفريعية، و يوجه تفسيره للمواضع لا للعناصر المعجمية[1].ذلك أن المواضع تبقى ثابتة مع تغير الموقع. ولتمثيل ذلك نورد المثالين الآتيين:

1. ضرب عيسى موسى.
2. ضرب موسى عيسى.

اللسانيات واللغة العربية، ص105 .

1 - البناء الموازي، ص22 – 49 .

فالمواضع هي(فا،ف،مفع) وهي ما يسميها تشومسكي نظرية الحالة النحوية[1] .

(Case grammar) أما الموقع فهو الرتبة أو كيفية انتظام هذه المواضع في التركيب ونلحظ هنا في المثالين (1) و (2) أن المواضع تغيرت، إذ أصبح العنصر (2) مكان العنصر (3)، والعنصر (3) مكان العنصر (2). و بهذا يمكن اعتبار الموضع قرينة لفظية للتمييز بين الإعراب و المعجم، وصار المعجم عند تشومسكي مكونا مقوليا للإعراب وهو مهم في بناء القواعد الأساسية للبنية العميقة[2].

الخلاصة:

مثل سوسير قاعدة الدراسات اللسانية الحديثة، حيث عمل على توجيه الأحكام النحوية لكثير من النظريات النحوية الحديثة.

ومثلت الثنائية التي ميزت أبحاثه أساسا منهجيا للمدرسة الوظيفية، والتوليدية التحويلية.

أما الكلمة فهي ذات دور مركزي تظهر قيمتها داخل التركيب وبالنظر إلى علاقاتها بكلمات قبلها أو بعدها. فالنظرة التكاملية للنحو هنا جاءت من الأبعاد التصورية للغة، فهي ذات بعدين بعد تركيبـــي (خطي) و بعد استبدالي (رأسي).

أما أندري مارتيني فإنه يمثل الاتجاه الوظيفي الذي يهدف إلى الربط بين النظام اللغوي وكيفية توظيف هذا النظام لأداء المعاني.

و من العناصر المشكلة للنظام اللغوي نجد الجملة التي تمثل قيمة وظيفية يبرزها عنصرا المسند و المسند إليه اللذان يحملان معلومات للسامع؛ فالمسند يحمل معلومات معروفة، أما المسند إليه فإنه يحمل معلومات جديدة. فالتركيب الإسنادي يمثل مجالا دلاليا واسعا. وأماالمعنى من أهم القضايا التي اعتنت بها الوظيفية.

و إذا نظرنا إلى لوسيان تينيار، فإننا نلحظ إضافات إلى الاتجاه الوظيفي؛ تمثلت في مركزية العبارة ومحوريتها، حيث شكل الفعل عنده النواة المركزية للجملة، إذ يعمل على مراقبة بنية الجملة.

---

1 - جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص170 .

2 - أحمد مومن، اللسانيات النشأة و التطور، ص232 .

أمـــا تشومسكي فإنه اهتم بالتركيب واضطربت نظرته للدلالة، ففي النموذج الأول عزل النحو عن المعنى، وفي النموذج الثاني جعل للمكون الدلالي دورا تأويليا وربطه بقدرة المتكلم على التمييز بين الجمل القواعدية واللاقواعدية. حيث تميز موقفه بالحذر المنهجي من المعنى.